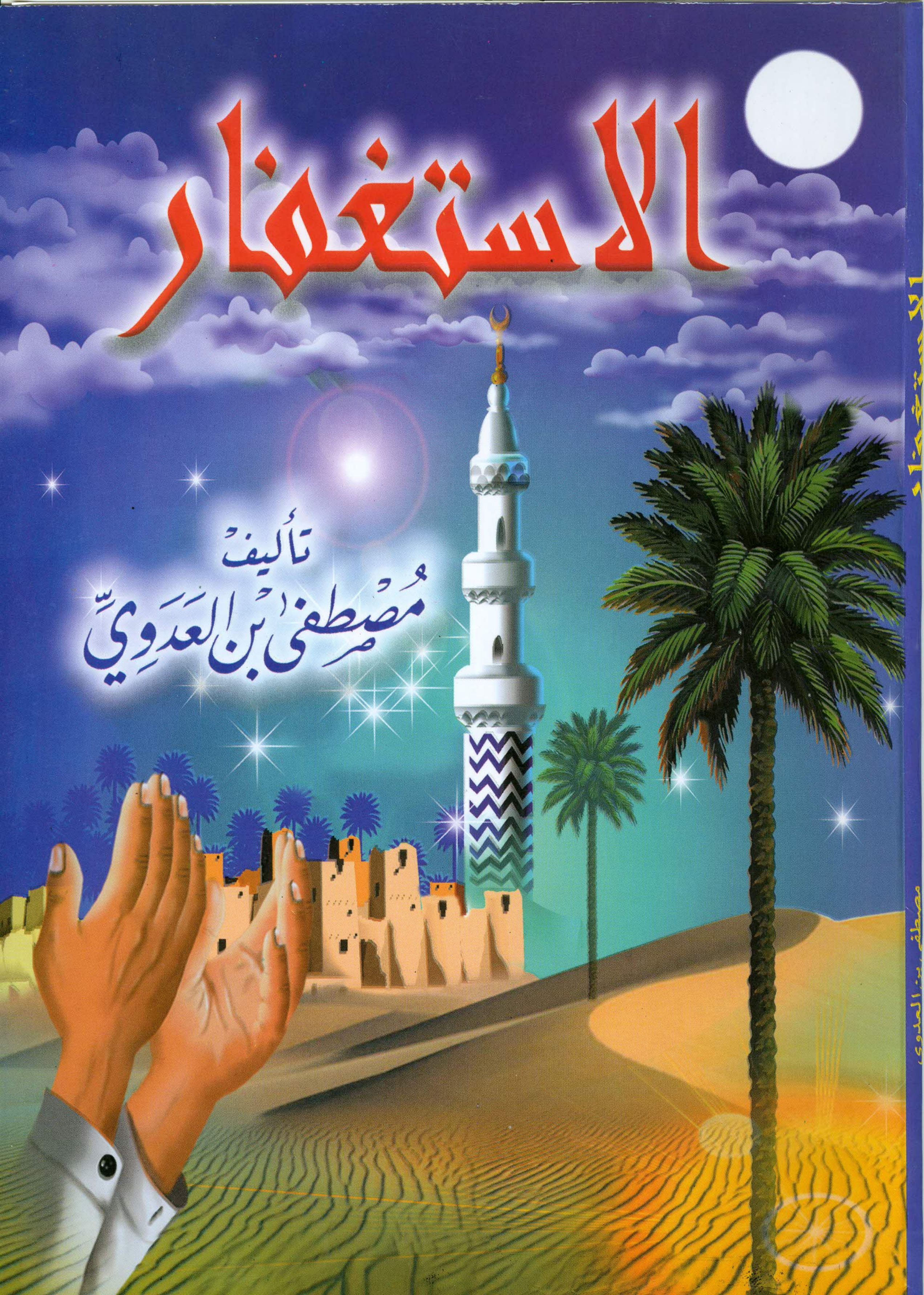
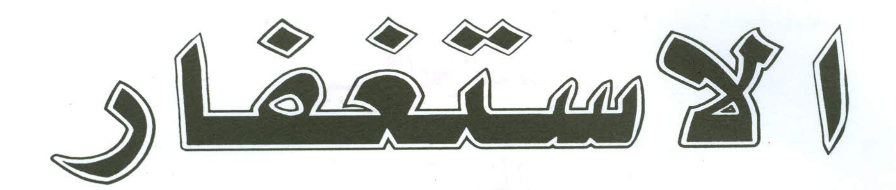


الاستغفار
تأليف
مصطفى بن العدوي



تأليف

مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

طنطا : ١٠ ش طه الحكيم

ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد...

فهذه رسالة صغيرة، كانت محاضرة ألقيتها بمدينة المنصورة (في مصر)، فاستحسن عدد من إخواني الناشرين طبعها، حتىٰ يعم بها النفع، فقمت بتنقيحها، وتخريج أحاديثها، وإعادة صياغتها وترتيبها، والحمد للَّه.

وقد قمت بتوفيق اللَّه في هذه الرسالة بجمع ما يتعلق بالاستغفار من فقهٍ، وآداب، وصيغ، وفضائلَ، وفوائدَ، وأوقاتٍ، ومواطنَ، وبيانِ بعضِ موانع المغفرة، وبدأت هذه الرسالة بذكر بعض ثمرات الطاعة، ثم ذكْر آثار المعاصي لتهييج العباد علىٰ الاستغفار، وقد راعيتُ فيها خطتي العامة في الأبحاث ومنها:

الحرص علىٰ المادة العلمية الصحيحة، وذلك يكمن بالدرجة الأولىٰ في كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ الصحيحة الثابتة.

هذا وأسأل اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن ينفعني بها والمسلمين، وأن يجعلها في موازين حسناتنا يوم نلقاه، وصلىٰ اللَّه علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه، وسلم.

وكتبه
أبو عبد الله
مصطفى بن العدوي
مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

* * *

استهلالٌ
وبيانُ طرفٍ من فوائد الطاعات

يعلم كل عاقلٍ نظر في كتاب اللّه وفي سنة رسول اللّه ﷺ واستقرأ أحوال الأمم والشعوب والجماعات والأفراد أن من أعظم الأسباب والوسائل لاستجلاب النعم واستدرارها، والمحافظة عليها وعلىٰ بقائها، بل ونموها وازديادها طاعة اللّه ـ عز وجل ـ والإيمان به وتوحيده، وفعل الخيرات والاستغفار من الذنوب وكف الأذىٰ عن العباد.

* قال اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

* وقال سبحانه:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾

[المائدة: ٦٥-٦٦].

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

* * *

أثر الذنوب والمعاصي
في زوال النعم وحلول النقم

وكذلك يعلم هذا الناظر المُتأني والباحث المدقق عن أسباب زوال النعم وحلول البلايا والنقم، يعلم تمام العلم أن من أعظم أسباب زوال النعم وحلول النقم الكفر باللَّه وكثرة المعاصي والجرائم والذنوب والبعد عن طريق اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، ومعاداة أوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

فكم من أمةٍ، وكم من قريةٍ كانت في سعةٍ من الرزق ورغدٍ من العيش وسلامةٍ في الأبدان وأمنٍ في الأوطان، فحادت عن طريق اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ فحلَّ عليها العذاب، ونزل بها العقاب وتبدلت عليها الأحوال، وضُرِبتْ مَثلاً للحاضر والباد.

* **قال اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ:** ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

[الطلاق: ٨ـ١٠].

* **وقال تعالى:** ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً[1] كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾

[النحل: ١١٢ـ١١٣].

---

(١) وهي مكة

* **وقال سبحانه:**

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

* **وها هم قوم نوح:** قال اللَّه في شأنهم: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧].

* **وها هي عاد:** تلك القبيلة التي لم يُخلق مثلها في البلاد، مَنَّ اللَّه عليهم بطولٍ في الأجسام وسلامةٍ في الأبدان وسعةٍ في الأرزاق، فاستكبروا وتعالوا على اللَّه وعلى خلقه، فماذا كانت العاقبة؟ قال اللَّه سبحانه: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥-١٦].

* سلط اللَّه على هذه القبيلة الطاغية الباغية الريح العقيم كما قال سبحانه: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ [الذاريات: ٤١-٤٢].

وكما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦-٧].

* **وها هم ثمود:** الذين جابو الصخر بالواد، تلكم التي بيَّن اللَّه لها طريق الهداية فاستحبت العمىٰ علىٰ الهدىٰ، ماذا كان من أمرها؟ قال تعالىٰ:

﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [فصلت: ١٧].

تلك القبيلة التي أنعم اللَّه عليها بنبيها صالح - عليه السلام - وبالناقة - ناقة اللَّه التي كانت تشرب الماء يومًا ويشربون لبنها يومًا -، فتآمروا علىٰ قتلها وجحدوا نعمة ربهم، فماذا كان من أمرهم؟!!

كذبوا صالحًا وكفروا وانبعث أشقىٰ رجل منهم وخرج لقتل الناقة فعقرها فدمرهم اللَّه، كما قال سبحانه ﴿ **إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا** ﴿١٢﴾ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** ﴿١٣﴾ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا** ﴿١٤﴾ **وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا** ﴾ [الشمس: ١٢-١٥].

* **وكذلك فرعون ذو الأوتاد الذين طغوا في البلاد:**

﴿ **فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ** ﴿١٢﴾ **فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ** ﴾ [الفجر: ١٢-١٣].

* **هذا فرعون الظالم:** الذي طغىٰ وبغىٰ، وكان له ملك مصر، والأنهار كانت تجري من تحته، مُنَعَّمًا في الكنوز والمقام الكريم، فاستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق، وتعالىٰ وتكبر وتجبر، فماذا كان من أمره وأمر جنده؟!

إنه تعالىٰ علىٰ المرسلين بقوله:

﴿ **يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴿٥١﴾ **أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ** ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢].

بل تطاول وتعاظم فقال: ﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ** ﴾ [النازعات: ٢٤].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]

* وسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، ذبح الأطفال، شرَّد الرجال، استحيا النساء وسخرهن، فماذا كان من أمره بعد هذا التكذيب وذاك العناد؟!!

وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤١-٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ٩-١٠].

وقال تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٨].

فها هي عاقبة الظلم، وها هي عاقبة البغي، وها هي عاقبة الكفر والتكذيب!!!

هذا على مستوى الأمم والشعوب، أمم وشعوب أُخذت بأكملها، وتحولت النعم عليهم إلى نقم كما قال تعالى: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وليس على مستوى الأمم والشعوب فحسب، بل على مستوى الجماعات، والأفراد كذلك.

* ها هم أصحاب الجنة - أصحاب الحديقة والبستان - :

الذين بيَّتوا الشرَّ وبيتوا البخل، وأقسموا ليصرمُنَّها مُصبحين ولا يستثنون، تآمروا لمنع الفقير والمحتاج حقه، فماذا كان؟!!

﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ۝١٩ فأصبحت كالصريم﴾

[القلم: ١٩-٢٠].

* **ها هو قارون الطاغي الباغي:** آتاه الله من المال ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، لكن يا ترى هل شكر؟ كلا، ما شكر بل بغى على قومه كما قال تعالى:

﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ۝٧٦ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ۝٧٧ قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ۝٧٨ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ۝٧٩ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ۝٨٠ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ [القصص: ٧٦-٨١].

* **ها هو إبليس يُطرد شر طردة من الجنان** لعصيانه وامتناعه عن طاعة اللـه، ورفضه السجود لآدم، فيُطْرَدُ شر طردةٍ: ﴿قال اخرج منها مذءوما مدحورا﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ [الأعراف: ١٣].

﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ [الأعراف: ١٣].

* **فهذه هي عواقب المعاصي والظلم والشر والفساد،** ها هي العواقب

الوخيمة والشرور الجسيمة للذنوب والمعاصي، كما قال تعالى في مواطن من كتابه العزيز.

﴿فَأَخَذَهُم اللَّه بِذُنُوبِهِم﴾!!! [غافر: ٢١].

﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِم﴾ [الأنفال: ٥٤].

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾!! [النحل: ٣٤].

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥: ٥٦].

﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١].

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠].

﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [يونس: ١٣].

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤].

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

* * *

فالمعاصي تزيل النعم حتى عن أهل الصلاح

* **فها هو آدم ﷺ وزوجه حواء عليها السلام:** كانا في نعيم وكانا في الجنان كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩].

وكما قال سبحانه: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩].

فماذا كان من آدم وزوجه بعد هذا النعيم وبعد هذا الستر الجميل؟!!:

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

فماذا كان؟؟ أُخرج عليه السلام من الجنة هو وزوجه، نُزع عنهما لباسهما!

كما قال تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

وفي الآية الأخر: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١].

فانظر إلىٰ آثر المعاصي والذنوب، انظر إلىٰ أثر المعصية، والعياذ بالله وكيف تبدل الستر عُريًا؟!! وأصبح المستور عريانًا؟!

* **وها هو يونس ﷺ:** ذهب مغاضبًا فكان بطن الحوت له سجنًا. وأي سجنٍ؟!! إنه سجن في قاع البحار!!!

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

[الصافات: ١٤٣-١٤٤].

فعمومًا، فإن المعاصي والذنوب سبب لزوال النعم وحلول النقم وتحول العافية، وجميع السخط، قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الأنفال: ٥٣].

* * *

ضعف الإنسان وخطؤه وحتمية وقوعه في الذنوب

* خُلق الإنسان ضعيفًا كما قال الله سبحانه:

﴿ **وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٢٨].

* وكذلك خُلق عجولاً كما قال سبحانه:

﴿ **وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً** ﴾ [الإسراء: ١١].

* وكذلك فأنه خُلق خلقًا لا يتمالك، قال النبي ﷺ:

«**لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ في الجَنَّة تركَهُ ماشاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيس يُطِيفُ به يَنْظُرُ ما هوَ؟ فَلَمَّا رآهُ أَجْوفَ عَرفَ أَنَّه خُلِقَ خَلْقًا لا يَتَمالكُ**»[١].

* وجُبل الإنسان على الخطأ، قال النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، ولَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُون فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرَ لَهُمْ**»[٢].

* وقدِّرت على ابن آدم الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦١١) من حديث أنس - رضي الله عنه - مرفوعًا.
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا.

نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلاَمُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»[1].

* وعصى آدم ﷺ فعصت ذريته، وجحد فجحدت ذريته كما قال النبي ﷺ، ففي «سنن الترمذي»[2] بإسناد صحيح لشواهده من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَي كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ ذُرِّيَّتُكَ. فَرَأَى رَجُلاً مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ. فَقَالَ: رَبِّ، كَمْ جَعَلْتَ عُمُرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمُرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ».

* فلم ينجُ من الذنوب أحدٌ، حتى أهل الصلاح.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

---

(١) البخاري (٦٢١٢)، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا، واللفظ لمسلم.

(٢) الترمذي حديث (٣٠٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وشاهده عند ابن حبان (٢٠٨٢)، والحاكم (١/ ٦٤).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذي جَاءَ بالصّدْق وَصَدَّقَ به أُوْلَئكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عند رَبِّهِمْ ذَلكَ جَزَاءُ الْمُحْسنينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥].

ففيه دليلٌ على: أنهم عملوا أعمالاً فيها سوءٌ لكن غفرها اللَّه لهم.

* * *

فتح باب التوبة للعباد

فلهذا الذي ذُكر؛

لأن الإنسان خلق ضعيفًا!!

وخلق أيضًا عجولاً!!

وخُلق خَلْقًا لا يتمالك!!

* لأنه قد قدِّرت عليه الذنوب وجُبِل على المعاصي.

* لهذا وقبله: رحمةُ اللَّه بعباده، فقد فتح اللَّه أمامهم باب التوبة آناء الليل وأطراف النهار، وجعل للتوبة بابًا مفتوحًا لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها.

* وحث اللَّه - سبحانه وتعالى - العباد على التوبة، وحرضهم عليها ورغّبهم فيها، بل وأمرهم بها.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

وقال سبحانه: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

* **وينادي اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ عباده ـ** كما في الحديث القدسي ـ: «يا عِبَادي إِنَّكُم تُخْطِئُونَ بالليلِ والنَّهارِ، وأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فاستَغْفِرُوني أَغْفِرْ لَكُمْ»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠]

* ولما قال الشيطان: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال اللَّه: «فَبِعِزَّتي وَجَلَالِي لاَ أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»(٢).

* **وينادي اللَّه ـ عز وجل ـ عباده في الثلث الأخير من الليل:** «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ»(٣).

* **وحث اللَّه عباده على التوبة النصوح:** بقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ فيما روىٰ عن اللَّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم علىٰ نفسي. . . .» الحديث، وفيه القدر المذكور (حديث ٢٥٧٧).

(٢) أحمد (٣/ ٢٩).

(٣) البخاري مع «الفتح» (١١/ ١٢٨)، ومسلم (٦/ ٣٦).

* وحثهم على المسارعة إلى التوبة والرجوع إليه: فقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

* وبين اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ أنه يريد التوبة على عباده:

فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورىٰ: ٢٥].

* * *

فرح اللَّه عزَّ وجل بتوبة العبد

قال النبي ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام[2] أيضًا: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ[3] مُهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ

(١) أخرجه مسلم (ص٢١٠٢) من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعاً.
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٤) من حديث ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعاً، وأشار إليه البخاري (٦٣٠٨).
(٣) الدوية: هي الأرض القفر والفلاة الخالية.

فيه، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ العَبْدِ المُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ».

وفي الصحيحين[1] من حديث أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ».

وفي لفظ لمسلم[2]: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ».

* * *

اللَّه عفوٌ وغفورٌ وتواب

ووصف اللَّه نفسه بـ: «العفوِّ» وبـ«الغفور» وبـ«التوَّابِ»، وبأنه «أَهْلُ التقوىٰ» و«أَهْلُ المغفرة» في جملة مواطن:

فقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

ووصف نفسه بـ«الغفور» فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٣٠٩)، ومسلم (ص٢١٠٥).
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٧).

وقال سبحانه: ﴿كُلُوا من رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

ووصف نفسه بأنه «أهل المغفرة»، فقال: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦].

* * *

اللَّه سبحانه وتعالى يحث نبيه ﷺ على الاستغفار

* **وحث اللَّه سبحانه وتعالى نبيه ﷺ على الاستغفار**، وفي هذا تهييجٌ لأُمَّته علي طلب المغفرة وحضٌّ لها علىٰ ذلك، إذ قد أُمر نبيها الذي هو خيرها - بل سيد ولد آدم علىٰ الإطلاق - بالاستغفار، ولأمته فيه أسوة حسنة، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يرجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

* قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ:

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦].

* وقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

* وقال سبحانه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

* ففي هذا وما ذكر من قبلُ كقوله تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وكقوله: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وفي غير ذلك مما تقدم، في هذا كله حثٌّ للجميع على الاستغفار والتوبة والإنابة إلى اللَّه، ونداءٌ للمسرفين على أنفسهم، كي يقبلوا على اللَّه ويلتمسوا عفوه ويطلبوا غفرانه.

* * *

الأنبياء وأهل الفضل والصلاح يطلبون العفو ويرجون المغفرة

وكان أسرع الخلق امتثالاً لهذه الأوامر وإجابةً لهذا النداء هم: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأهل الفضل والصلاح كذلك.

* فها هو أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام: لَمَّا خالفا أمرَ اللَّه عز وجل وأزلَّهما الشيطان وأوقعهما في الخطأ بادرا بالتوبة والندم، فقالا:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[الأعراف: ٢٣].

* وها هو نوح ﷺ: تأخذه الشفقة على ولده الكافر فيقول: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

فيقول اللَّه له: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

فحينئذ يتوجه نوح إلى ربه مستغفرًا ويرجع إلى ربه تائبًا، فيقول: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ

﴿الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

* وأيضًا: بعد أن ذكر اللَّه قصة نوح مع قومه وإغرق القوم الكافرين ونجاة نوح ومن معه أجمعين قال نوح ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

* وها هو الخليل إبراهيم عليه السلام يقول:

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

* وها هو موسى عليه السلام يقول:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[القصص: ١٦].

ويقول عليه السلام:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

[الأعراف: ١٥١].

وها هو نبينا ﷺ: يَعدُّ له أصحابه في المجلس الواحد: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، وفي رواية «إِنَّك أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ» مائة مَرَّةٍ(١).

ويقول عن نفسه: «واللَّه إنِّي لأَستَغفِرُ اللَّهَ وأَتوبُ إليهِ في اليَومِ أَكْثَر مِنِ سَبْعينَ مَرَّةً(٢)».

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، وعبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (حديث ٧٨٤) من حديث ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - بإسناد صحيح، وانظر تخريجه هناك.

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١١/ ١٠١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه - مرفوعًا.

ويُحثُّه ربُّه على الاستغفار، فيقول له: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

* **ويونس ﷺ ينادي في الظلمات:**

﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

* **وسليمان عليه السلام يدعو** فيقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

* **وأبوه داود عليه السلام يقول الله في شأنه:**

﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

* **وها هو أفضل هذه الأمة وخيرها بعد نبيها ﷺ،** ها هو أبو بكر يسأل رسول الله ﷺ فيقول له: يا رسول الله، علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيراً ولا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»[1].

* **وعمر** - رضي الله عنه - يقول لرسول الله ﷺ: (اسْتَغفرْ لِي يا رسولَ اللَّهِ)[2].

وغير هؤلاء كثيرٌ.

فكانت التوبة لهم راية، والاستغفار لهم شعاراً، كلٌّ كان لربه أوابًا.

---

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢/ ٣١٧)، ومسلم (١٧/ ٢٨) مع النووي.

(٢) صحيح وسيأتي تخريجه.

فتح باب التوبة لمرتكبي الكبائر

وفتح اللَّه ـ عز وجل ـ باب التوبة والإنابة إليه والاستغفار بعد كل كبيرة من الكبائر حتى لا يقنط أحدٌ من رحمة اللَّه ـ عز وجل ـ، فها هي كبار الذنوب وعِظام الجرائم، ـ: الشرك والقتل والزنا ـ يفتح اللَّهُ الباب أمام مرتكبيها كي يتوبوا منها قبل موتهم،

قال اللَّه تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا** ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧١].

* **وها هم أصحاب الأخدود:** الذين كفروا وظلموا وحرّقوا المؤمنين والمؤمنات، وقذفوهم في النار، وما كان للمومنين والمؤمنات من ذنب إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد هؤلاء أصحاب الأخدود الذين فرّقوا بين الوالدة وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها في النار، وجلسوا على حافة الأخدود يتلذذون بمشاهدة أهل الإيمان وهم يُقذفون في النيران ويستمتعون بذلك، هؤلاء أصحاب الأخدود الذين اجتهدوا غاية الاجتهاد لصرف الناس عن دينهم، مع كل هذه الجرائم التي صدرت منهم يفتح اللَّه لهم باب التوبة كي يتوبوا، قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ** ﴾ [البروج: ١٠].

فقوله سبحانه وتعالى ﴿ **ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا** ﴾ يُفيد أنهم لو تابوا قَبِلَ اللَّه توبتهم،

فسبحانك يا ربنا ما أحلمك وما أرحمك!!!

* **وها هم قطاع الطرق:** تفتح أمامهم أبواب التوبة كي يتوبوا ويرجعوا عن غيهم وفسادهم، ويقطعوا عن الناس شرهم.

قال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣ـ٣٤].

* **وها هم الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات:**

تفتح أمامهم أبواب التوبة والإنابة إلىٰ بارئهم ومولاهم كي يتوبوا ويُقبلوا علىٰ عمل الصالحات وإقامة الصلاة وترك الشهوات.

قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٥٩ـ٦٠].

* **وهؤلاء الذين يرتكبون الكبائر البشعة من قذف المحصنات الغافلات المؤمنات بالزنا والفاحشة:** تُفتَح أمامهم[1] أبواب التوبة من هذا الذنب الكبير، فيقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤ـ٥].

---

(١) وقد اشترط لذلك كثير من أهل العلم أن يُكذِّب هذا القاذف نفسه، ويظهر براءة المؤمنة أو المؤمن المقذوف من التهمة التي رماها بها ـ وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله.

*** وها هو رجل قتل تسعة وتسعين نفساً:** ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على راهب فأتاه، ولكن للأسف راهب قليل العلم والفقه، أخبره أن لا توبة له فقتله فأتمَّ به المائة، ثم سَأَلَ عن أعلَم أهل الأرض، فَدُلَّ على عالم، فأتاه فأخبره أن له توبة، فكان ماله بعد ذلك إلىٰ رحمة اللَّه - عز وجل - وتلقَّته ملائكة الرحمة علىٰ ما ورد في «الصحيحين»[1] من حديث أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال: **«كَانَ فيمَنْ قَبْلَكُم رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعين نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمَ أَهْلِ الأَرْض، فَدُلَّ عَلَى رَاهب، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّه قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فَهَل لَهُ من تَوْبَة؟ فَقَالَ: لاَ. فَقَتَلَهُ. فَكَمَّلَ به مائَةً. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمَ أَهْلِ الأَرْض، فَدُلَّ عَلَى رَجُل عَالم، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مائَةَ نَفْس، فَهَلْ لَهُ منْ تَوبَة؟ فَقَالَ نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَه وَبَيْنَ التَّوبَة؟ انْطَلَق إِلَى أَرْض كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّه فَاعْبُد اللَّه مَعَهُمْ، وَلاَ تَرْجعْ إِلي أَرْضكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوء. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيه مَلاَئكَةُ الرَّحْمَة وَمَلاَئكَةُ العَذَاب، فَقَالَتْ مَلاَئكَةُ الرَّحْمَة: جَاءَ تَائبًا مُقْبلاً بقَلْبه إِلَى اللَّه، وَقَالَتْ مَلاَئكَةُ العَذَاب: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ «فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ في صُورَة آدَميٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْن، فَإِلَى أَيَّتهمَا كَانَ أَدْنَى، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْض الَّتي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئكَةُ الرَّحْمَة».**

قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الحَسَنُ: ذُكِرَ لَنَا: «أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ المَوْتُ نَأَىٰ بِصَدْرِه».

وكذلك هؤلاء القوم الذين لا يعقلون: الذين نادوا رسول اللَّه ﷺ من وراء الحجرات، لم يراعوا الأدب في ذلك، هؤلاء أيضاً فتح اللَّه لهم باب التوبة والمغفرة لِما صدر منهم إنْ هم تأدبوا قال سبحانه ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ**

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤-٥].

فسبحانك ربنا ما أحلمك وما أرحمك!! إذ ناديت العباد فقلت - وقولك الحق: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

[النساء: ١١٠].

سبحانك، ما أوسع رحمتك وأعظم حلمك إذ قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾

[النساء: ٦٤].

ما أحلمك وما أرحمك وما أعظم عفوك وأجمل كرمك إذ قلت: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

وما أعدلك في كل ما قضيت به وحكمت!!!

فلك الحمد آناء الليل وأطراف النهار.

* * *

التحذير من اليأس والقنوط من رحمة الله

فلا ينبغي أن يقنط أحدٌ أبدًا من رحمة الله، فاليأس والقنوط من رحمة الله - عز وجل - كبيرة من الكبائر.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

*وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المراد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا

تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]:

إن العبد يُذنب ثم يظن أن ذنبه لا يغفر فيترك الاستغفار ويترك الرجوع إلى الله، فَمِن ثم يقع في الهَلَكة[1] - والعياذ بالله.

* وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ[2] فيما يحكي عن ربه - عز وجل - قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

* وها هو رجل يُكثر من شرب الخمر، فيؤتى به إلى رسول الله ﷺ، فأخرج البخاري[3] من حديث عُمر - رضي الله عنه -: أن رجلاً كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اسْمه: عبد الله وكان يلقب: حِماراً، وكان

---

(١) أخرج الطبري (٣١٦٧) بإسناد صحيح عن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] قال: هو الرجل يصيب الذنوب فيلقي بيده إلى التهلكة يقول: لا توبة لي.

وفي رواية (٣١٦٩): «هو الرجل يذنب فيقول: لا يغفر الله له»، وأخرج الطبري نحوه عن عبيدة أيضًا، فأخرج بإسناد صحيح (٣١٧٤) عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال: هو الرجل يُذنب الذنب فيستلم ويُلقي بيده إلى التهلكة ويقول: لا توبة له - يعني قوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال الطبري - بعد أن أورد جملة أقوال في تفسير الآية الكريمة -: «وكذلك الآيس من رحمة الله لذنب سلف منه مُلق بيديه إلى التهلكة؛ لأن الله قد نهى عن ذلك فقال: ﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف: ٨٧]».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

يُضحِك رسولَ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم، وكان النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم قد جلَدَه في الشراب، فأُتي به يومًا، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم الْعَنْه، ما أكثر ما يُؤتَىٰ به! فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم: «**لاَ تَلْعنُوه، فوَاللَّه ما(١) علَمْتُ أنَّه يُحبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ**»(٢).

وفي رواية: أن رجلاً قال: مَالَهُ أخزاه اللَّه! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لاَ تكُونُوا عَونَ الشَّيطَانِ علَى أَخِيكُمْ**»(٣).

فجَديرٌ بالعبد أن لا يقنط أبدًا من رحمة اللَّه ـ عز وجل ـ، بل كلما سقط ووقع في ذنب قام واستغفر وأناب، فليس ثَمَّ أحدٌ بمعصوم من الذنب، وقد قال تعالىٰ في شأن المتقين الذين أعدت لهم الجنان.

﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فذكر من صفاتهم: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ**

(١) نقل الحافظ ابن حجر في (ما) هنا أقوال، أقربها: ما نقله عن أبي البقاء في إعراب الجمع أنه قال: «ما» زائدة، أي: فواللَّه علمت أنه. والهمزة علىٰ هذا مفتوحة قال: ويحتمل أن يكون المفعول محذوفًا، أي: علمت عليه أو فيه سوءً، ثم استأنف فقال: «إنه يحب اللَّه ورسوله».

(٢) عند أبي يعلىٰ (١/ ١٦١) من طريق: هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه، عن عمر: أن رجلاً كان يلقب حماراً، وكان يُهدي لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم العكَّة من السمن والعكة من العسل، فإذا جاء صاحبها يتقاضاها جاء به إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم فيقول: يا رسول اللَّه، أعط هذا ثمن متاعه. فما يزيد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم علىٰ أن يتبسَّم ويأمر به فيعطىٰ. . . فذكر الحديث وفي آخره: «لا تلعنوه، فإنه يحب اللَّه ورسوله». وإسناده حسن.

(٣) هي عند البخاري (٦٧٨١).

يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

فحتى التَّقيُّ قد تصدر منه كبيرة!!، قد تزل قدمه ويقع في فاحشة!! ولكنه يُقلع عنها وينيب إلى ربَّه ويستغفر.

* وها هم المرسلون، قال تعالى:

﴿إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١٠-١١].

* وموسى الكليم عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وعلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام - قتل نفسًا فقال:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[القصص: ١٦].

* وهؤلاء الذين جاءوا بالصدق وصدقوا به، قال الله عنهم: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٥].

ففيه دليلٌ على أنهم عملوا شيئًا من السوء.

* * *

تحذير من يقنط الناس من رحمة اللَّه

وكذلك فليحذر العبد من أن يقنط شخصًا من رحمة الله، فهذا هو مصير الراهب الذي أفتى قاتل التسعة والتسعين نَفْسًا بأنه لا توبة له، قتله الجاني فأتمَّ به المائة.

❊ وصح عن رسول اللَّه ﷺ[1] أنه قال: «كَانَ رَجُلان في بَني إسْرَائيل مُتواخيين، فكَانَ أحدُهُما يُذْنب والآخر مُجْتَهدٌ في العبَادة، فكَانَ لا يَزالُ المُجْتَهد يَرى الآخر علَى الذّنْبِ فيقول: أَقْصرْ، فوجَدَهُ يوماً على ذَنْب، فقَالَ لَه، أَقْصرْ، فقَالَ: خَلِّني وربِّي، أَبُعثْتَ علَيَّ رَقيباً؟ فقال: واللَّه لا يَغْفِرُ اللَّهُ لك ـ أو: لاَ يُدخلُكَ اللَّه الجنَّةَ ـ فَقَبَضَ أروَاحَهُما، فَاجْتَمعَا عِنْدَ ربِّ العَالمين فقَالَ لِهذا المُجتَهد، أكُنْتَ بي عَالماً؟ أو: كُنتَ علَى مَا في يَدي قَادراً؟ وقَالَ للمُذْنِب: اذهبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ بِرحْمَتِي، وقَالَ لِلآخرِ: اذْهَبُوا به إِلى النار».

وفي «صحيح مسلم»[2]: من حديث جندب ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه حَدَّث: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: واللَّه لا يَغْفِرُ اللَّهُ لفُلاَن وإنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذي يَتألَّى علَيَّ أَنْ لاَ أَغفِرَ لفُلان، فَإنِّي قَد غَفَرْتُ لِفُلاَن، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أو كَما قال.

❊ ❊ ❊

وليحذر العبد من التهاون بالذنوب والمعاصي

فاللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ كما وصف نفسه بأنه غفور رحيم، وصف نفسه بأنه شديد العقاب، في غيرِ موطنٍ من كتابه.

❊ قال سبحانه:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

❊ وقال سبحانه وتعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، وإسناده حسن.
(٢) مسلم (حديث ٢٦٢١).

* وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

فكما أنه سبحانه وتعالىٰ يتجاوز عن السيئات ويعفو عنها، فهو سبحانه يأخذ بالذنب ويعاقب به إن شاء.

* وقد يظن الشخص أن الذنب صغيرٌ، وهو عند الله كبير كخوض الخائضين بألسنتهم في أعراض المؤمنين والمؤمنات:

* قال الله تعالىٰ في شأن أهل الإفك الذي خاضوا بألسنتهم في عرض أُمِّنَا الفاضلة عائشة رضي الله عنها ـ:

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥].

* وقال النبي ﷺ ـ في شأن صاحبي القبرين ـ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى[1]» أي: ما يُعذَّبانِ في كَبيرٍ في أَنظاركم، ولكنه كبير عند الله سبحانه وتعالىٰ.

* وقال النبي ﷺ ـ لعائشة لَمَّا قالت شيئًا في صفية أم المؤمنين، وأنها قصيرة ـ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لو مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»[2].

* وها هم أصحاب رسول الله ﷺ لما خالفوا أمر نبيه محمد ﷺ يوم أُحُدٍ

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٣٧٨) وفي عدة مواطن، ومسلم (٢٩٢) واللفظ للبخاري من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعًا، وفيه: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير»، ثم قال: «بلى»، أما أحدهما: فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما: فكان لا يستتر من بوله...».

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٢٥٠٢) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ، وإسناده صحيح.

حلَّ بهم ما حلَّ من الهزيمة والفرار!!!

* **وها هو خادم لرسول الله ﷺ**، يخدم رسول الله! آمن برسول الله ﷺ، لما قُتل قال الصحابة: هنيئًا له خادم رسول الله، فقال النبي ﷺ: «كَلاَّ، والذِّي نَفْسِي بِيَدِه، إنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يوم خيبر لَمْ تُصِبْهَا المَغَانِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيهِ نَارًا»[1] !!

* **وها هي امرأة تُعذَّب في هرة حبستها**، لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت[2] !!!

* وعلى كلٍّ؛ فصغيرُ الذُنوبِ وكبيرُها مُسْتَطَرٌ.

قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وقال: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٣٤) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «فتحنا خيبر ولم نغنم ذهبًا ولا فضة، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، ومعه عبد له يقال له: مدعم، أهداه له أحد بني الضباب، فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ، إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس: هنيئًا له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: «بلى، والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا. . . .» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣١٨) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرةٍ ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض».
ونحوه أشار إليه البخاري عقب حديث ابن عمر، وأخرجه مسلم (حديث ٢٦١٩).

مزيدٌ من النصائح
لمن ابْتُلُوا بالمعاصي وتورَّطوا فيها

إضافةً إلىٰ ما ذُكِر من حَثِّ أصحاب المعاصي علىٰ الإقلاع عنها، والندم منها، والتوبة والاستغفار، والإنابة إلىٰ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، وإِتْبَاع السيئة بالحسنة، وعدم القنوط من رحمة اللَّه، وتَرْك اليأس من روح اللَّه، إضافةً إلىٰ هذا وغيره نَسُوقُ هذه النصائح:

مفارقة موطن المعصية:

* يستحب للعاصي القائم علىٰ معصية الذي لا يستطيع التخلص منها: أن يفارق موطن المعصية، فإذا كان هناك مَثَلاً: رجل متعلق بامرأة من النساء ولا يستطيع أن يمنع نفسه من ارتكاب المحرم معها ابتداء بالنظرة المحرمة وانتهاءً بالفاحشة والعياذ باللَّه:

فخير علاج لهذا المبتلىٰ بعد تقوىٰ اللَّه وطلب العون منه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: أن يفارق موطن المعصية ويترك المكان الذي تتواجد فيه هذه المرأة، وذلك فراراً من فتنتها، ولأن الأماكن التي ارتُكبت فيها معاصي تُذكِّر بهذه المعاصي.

ونحو ذلك:

إذا كان هناك شخص ابتلي بشرب الدخان والمخدِّرات فليترك أمكنة هذه الأدخنة والمخدرات، ويترك أصدقاء السوء الذين يتعاطونها ويفرُّ من هذه الأماكن.

وقد دلت علىٰ هذا جملةُ أدلة من الكتاب العزيز ومن سنة النبي الأمين محمد ﷺ.

*** فمن ذلك:**

حديث قاتل التسعة والتسعين نفسًا(١) الذي قتل الراهب فأتمَّ به المائة، ففيه: أنه دُلَّ علي رجل عالم فقال: «**إِنَّهُ قَتَلَ مائةً، فَهَلْ لَهُ مِنْ توبة؟ فَقَال: نَعَم، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَوبة؟ انْطَلِقْ إلى أرضِ كَذَا وَكَذَا، فإن بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدون اللَّه، فاعبد اللَّهَ مَعَهُم، ولا ترجعْ إلى أرْضِكَ فإنَّها أرضُ سُوء، فَانْطَلَقَ حتَّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أتاه الموتُ، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ....**» الحديث

*** ومن ذلك:**

قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٨].

*** ومن هذا الباب أيضًا قوله:**

﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ**﴾ [النساء: ١٤٠].

*** ومن هذا الباب كذلك:** تغريب الزاني، فالزاني البكر يُجلد مائة ويُغرب عام، وفي هذا والله أعلم فضلاً عن الردع بهذه العقوبة، ففيه إبعاده عن موطن المعصية كذلك.

*** ومن ذلك أيضًا: قوله تعالى:**

﴿**الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ**

(١) وقد تقدم.

وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

ترك المجاهرة بالمعصية:

ويُنصح من ابتُلي بمعصية: ألا يُجاهر بهذه المعصية، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**كُلُّ أُمَّتي مُعافى إلاَّ المُجاهرين، وإنَّ من المُجاهَرَة: أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيل عملاً، ثُمَّ يُصْبِح وقَدْ ستَرهُ اللَّه فيَقُولُ: يا فُلانُ عَملتُ البَارحَةَ كذا وكذا وقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ويُصْبِحَ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّه عَنْهُ**»[١].

فضلاً عن ذلك، فإنَّ في المجاهرة بالمعصية نَشْراً وإفشاءً لها، مما يُحَمِّلُ المجاهر إثم مَن اقترف مثل هذه المعصية، لقول النبي ﷺ: «**مَنْ دعَا إلى هُدًى كَانَ لَه من الأَجْر مثْل أُجُور مَنْ تبعَه، لا يَنْقُصُ ذلك من أُجُورهم شيًا، ومَنْ دعَا إلى ضَلالَة كَانَ عَلَيه من الإثْم مثْل آثَام مَنْ تبعَه، لا يَنْقُصُ ذَلكَ من آثامهمْ شيئًا**»[٢].

فينبغي أن يستر المُذْنِبُ على نفسه ولا يفضح نفسه، بل عليه أن يجتهد في التوبة والاستغفار والسَّترِ على نفسه، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

قوة العزيمة ونماذج لتوبة بعض التائبين:

فينبغي أن يقوِّي الشخصُ عزيمَتَهُ، ويُقبل على التوبة إلى اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ بقلبه ولسانه وجوارحه، ويقلع عن المعاصي، ويدع الضعف والخور، وقد ضرب لنا سلفنا الصالح أروع الأمثلة في ذلك.

* **فها هي امرأة تأتي معترفةً بذنبها** تريد أن تتطهر من ذنبها وتَلْقى اللَّه ولا تَبِعَةَ عليها، فتَجُودُ بنفسها للَّه سبحانه وتعالى، وتأتي معترفةً بالذنب إلى رسول اللَّه ﷺ؛ كي يقيم عليها الحد ويهدأ بالها ويسكن خاطرها، ولا تَهُمَّنَّها الملابسات

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

المحيطة بها ولا يَهمَّنها حَمْلُها الذي في بطنها، ولا وليدها بعد أن وضعته، تلك هي الغامدية، وهذه هي قصتها التي يقشعر لها الجلد ويرق لها القلب ويقف معها الفؤاد وَجلاً، وها هي قصتها كما في «الصحيح»[(١)] من حديث عمران بن حصين - رضي اللَّه عنهما -: «أنَّ امرأةً من جهينةَ أتتْ نَبيَّ اللَّه ﷺ، وهي حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنَىٰ، فقالت: يا نبيَّ اللَّه، أصبتُ حداً[(٢)] فَأَقِمْهُ علي، فدعا نبيُّ اللَّه ﷺ وليَّها، فقال: «**أَحْسِنْ إليها، فإذا وَضعَتْ فائتني بها**» فَفعلَ، فأَمَر بها نبيُّ اللَّه ﷺ، فَشُكَّتْ عَليها ثيابَها، ثم أَمر بها فَرُجمتْ ثم صَلَّىٰ عَليها، فقال له عمر: تُصلِّي عليها يا نبيَّ اللَّه وقد زنت؟! فقال: «**لَقَدْ تابَتْ توبَةً، لو قُسمتْ بينَ سَبْعين من أهلِ المَدينة لَوَسِعَتْهُم، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنفسِهَا لِلَّه تَعالَى؟!**».

* **وها هو رجل آخر يأتي معترفًا بذنبه** يريد التطهر، يأتي عن يمين رسول اللَّه ﷺ فيُعْرِضُ عنه النبيُّ ﷺ، فيتَحوَّل عن يساره، كل ذلك كي يتطهر من ذنبه، وها هي قصته، وهذا هو حديثه كما في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال[(٣)]: أَتَىٰ رسولَ اللَّه ﷺ رجلٌ من الناس وهو في المسجد، فناداه: يا رسول اللَّه، إني زَنيتُ - يريد نفسه -، فأعرض عنه النبي ﷺ، فتنحَّىٰ لشقِّ وجْهِه الذي أعْرض قَبْله، فقال: يا رسول اللَّه، إنِّي زَنيتُ، فأَرض عنه؛ فجاءَ لشقِّ وَجْهِ النبي ﷺ الذي أَعْرضَ عنه، فلمَّا شَهدَ علىٰ نفسه أربعَ شهاداتٍ دعاه النبيُ ﷺ فقال: «**أَبِكَ جُنونٌ؟**» قال: لا يا رسول اللَّه ﷺ. فقال: «**أَحْصَنْتَ؟**» قال: نَعم، يا رسول اللَّه قال: «**اذْهَبُوا فَارْجُمُوهُ**».

---

(١) صحيح مسلم (حديث ١٦٩٦).
(٢) أي: ارتكبت أمراً يوجب الحد.
(٣) البخاري (حديث ٦٨٢٥)، ومسلم (ص١٣١٨).

* **وها هو تصرفٌ في غاية من الثبات** والرجوع إلى اللَّه والإنابة إليه، حقًا إنه تصرفٌ رشيدٌ صَدَرَ مِنْ قلبٍ أوَّاه مُنيبٍ، ها هو ماعزٌ وتلك هي الغامدية، وها هي قصتهما كما أوردهما مسلم(١) في «صحيحه» من حديث بُريدة الأسلمي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: جاء ماعزُ بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه طَهِّرْني. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وَيْحَكَ**»(٢) ! **ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إليه**» قال: فَرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول اللَّه، طَهِّرني، فقال النبي ﷺ مِثلَ ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول اللَّه ﷺ: «**فَبِمَ أُطَهِّرُكَ؟**» فقال: مِنَ الزِّنَى، فسأل رسول اللَّه ﷺ: «**أَبِهِ جُنُونٌ؟**» فأخبر أنَّه ليس بمجنونٍ، فقال: «**أَشَرِبَ خَمْرًا؟**» فقام رجل فاستنكهه(٣) فلم يجد منه ريحَ خمر، قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أَزَنيتَ؟**» فقال: نعم فأَمَرَ به فَرُجم، فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هَلَكَ، لقد أحاطتْ به خطيئتُه. وقائل يقول: ما توبةُ أفضلُ مِن توبةِ ماعزٍ أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده، ثم قال: اقْتُلني بالحجارة، قال: فَلَبِثوا بذلك يومين أوثلاثة، ثم جاء رسول اللَّه ﷺ وهُم جُلوسٌ فسلَّم ثم جلس، فقال: «**اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بنِ مَالك**»، قال: فقالوا: غفر اللَّه لماعز بن مالك، قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**قَدْ تَابَ تَوبةً لو قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّة لَوَسِعَتْهُمْ**».

قال: ثم جاءته امرأةٌ من غامد(٤) من الأزد، فقالت، يا رسول اللَّه، طَهِّرني فقال: «**وَيْحَكِ! ارجِعي فاسْتغفري اللَّه وتوبي إليه**»، فقالت: أراك تريد أن

---

(١) مسلم (١٦٩٥).

(٢) «ويحك»: قال في «النهاية»: «ويح»: كلمة ترحم وتوجع، تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها.

(٣) «فاستنكهه»: أي: شم رائحة فمه، طلب نكهته بشم فمه، والنكهة رائحة الفم.

(٤) «غامد»: بطن من جهينة.

تَرُدَّني كما رَدَّدتَ ماعز بن مالك قال: «وَمَا ذَاكَ؟» قالت: إنها حُبلىٰ من الزنىٰ[١]، فقال: «آنت؟» قالت: نعم. فقال لها «حتَّى تَضعي ما في بَطْنك»، قال: فَكفَلها رجلٌ من الأنصار[٢] حتىٰ وضعت، قال: فأتىٰ النبي ﷺ فقال: «قد وَضَعت الغامديةُ». فقال: «إذًا لا نرجمُها ونَدعُ ولَدَهَا صَغيرًا لَيس لَهُ مَن يُرضعُهُ» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأنصارِ فَقَالَ: إليَّ رَضَاعُه[٣] يا نبيَّ اللَّه، قال: «فَرجَمَهَا». وللحديث رواية أخرىٰ عند مسلم أيضًا، فيها:

أن ماعز بن مالك الأسلمي أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّه، إني ظلمتُ نَفْسي وزنيتُ، وإني أريد أن تُطهِّرني، فردَّه، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول اللَّه، إني قد زنيتُ، فردَّه الثانية، فأرسل رسولُ اللَّه ﷺ إلىٰ قومه فقال: «أتعلَمُونَ بعقْله بأسًا تُنْكِرُونَ منه شيئًا؟»، فقالوا: ما نَعْلَمُهُ إلاَّ وَفِيَّ العقْلِ، مِن صالحينا - فيما نرىٰ -، فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضًا، فسأل عنه فأخبروه: أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حُفِرَ له حُفرةً ثم أمر به فرجم.

قال: فجاءتِ الغامديةُ فقالت: يا رسول اللَّه، إني قد زنيت فطهِّرني، وإنه ردَّها، فلما كان الغد قالتْ: يا رسول اللَّه، لِمَ تَردَّني؟ لعلَّك أن تردَّني كما رددتَ ماعزًا، فواللَّه، إنِّي لَحُبْلىٰ، قال: «إمَّا لاَ، فَاذْهَبي[٤] حَتَّى تَلدِي» فلما ولدت أتته

---

(١) «إنها حبلىٰ من الزنىٰ»: أرادت: إني حبلىٰ من الزنىٰ. فعبَّرت عن نفسها بالغيبة.

(٢) «فكفلها رجل من الأنصار»: أي: قام بمؤنتها ومصالحها، وليس هو من الكفالة التي هي بمعنىٰ الضمان، لأن هذا لا يجوز في الحدود التي للَّه تعالىٰ.

(٣) «إليَّ رضاعه»: إنما قاله بعد الفطام، وأراد بالرضاعة: كفايته وتربيته، وسماه رضاعًا مجازًا.

(٤) «إما لا فاذهبي»: هو بكسر الهمزة من «إما»، وتشديد الميم، وبالإمالة. الأصل: إن ما، فأدغمت النون في الميم وحذف فعل الشرط فصار إمَّا لا، ومعناه: إذا أبيت أن تستري علىٰ نفسك وتتوبي وترجعي عن قولك فاذهبي حتىٰ تلدي، فترجمين بعد ذلك.

بالصبي في خِرْقة، قالت: هذا قد ولدته. قال: «اذْهَبي فَأَرْضعيه حتَّى تُفْطميه»، فلمَّا فطَمَتْه أَتَتْهُ بالصَّبِّي في يَدِه كِسْرة خُبزٍ، فقالت: هذا، يا نبي اللَّه، قد فَطَمْتُه، وقد أكَلَ الطعَامَ، فَدفَعَ الصبيَّ إلىٰ رجلٍ من المسلمين، ثم أَمرَ بها فَحُفر لها إلىٰ صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالدُ[1] بنُ الوليد فَرمىٰ رأسها فتنضّح[2] الدم علىٰ وجه خالد، فسبها فسمع نبيُّ اللَّه ﷺ سَبَّه إياها فقال: «مَهْلاً يا خَالدُ، فَوالَّذي نَفْسِي بِيَدِه لَقَدْ تابتْ تَوْبَةً لو تَابهَا صَاحِبُ مكسٍ لَغُفِر لَه».

ثم أَمر بها فَصلَّىٰ عَلَيها وَدُفِنتْ.

* **ها هُم أصحابُ رسول اللَّه ﷺ** كانُوا مُولَعِين بشرب الخمر قبل تحريمها، فماذا كان منهم لما نزل تحريم الخمر - رضي اللَّه عنهم وأرضاهم؟ فقد أمروا بِدِنَانِ الخَمرِ وأَوعيتها أن تُكسَرَ وتُهراق، فجرتْ في سِكَكِ المدينة، وها هو الحديثُ بذلك.

أخرجه البخاري ومسلم[3] من حديث أنس - رضي اللَّه عنه -؛ قال (واللفظ لمسلم): كنت ساقي القوم يوم حُرِّمَت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلا الفضيخ: البسرُ والتمر، فإذا منادٍ يُنادي، فقال: اخرج فانظر، فخرجتْ فإذا منادٍ يُنادي: ألا إنَّ الخمر قد حُرِّمت، قال: فَجرَتْ في سِكَكِ المَدِينَةِ، فقال لي أبو طلحة: اخرجْ فاهرِقْها، . فهرقتُها.

فَقَارِنْ بين عزيمة هؤلاء الأفذاذ وعزيمة أهل زماننا - إن صحت المقارنة -، أهل زماننا يتناول أحدهم الدخان وتحثه على الإقلاع عنه لضرره وتدميره للبدن ولما فيه

(١) «فيقبل خالد»: حكايةٌ للحال الماضية، أي: فأقبل.

(٢) «فتنضح»: روي بالحاء المهملة وبالمعجمة، والأكثرون على المهملة، ومعناه: ترشش وانصب. قاله النووي.

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٨٢)، ومسلم (١٩٨٠) واللفظ لمسلم.

من الإسراف فيماطل أحدهم أشد المماطلة ويجادل غاية الجدال، فشتان ما بين هؤلاء وأولئك، وأين الثُريا وأين الثرىٰ؟!!

ألا تتأس يا عبد اللَّه بهذا الرجل في عزيمته، ذلكم الرجل الذي قعد بين رجلي ابنة عمه كي يزني بها، فلما قالت له: اتق اللَّه ولا تَفُضَّ الخاتَم إلا بحقه، قام وتركها، وانصرف خوفًا من اللَّه عز وجل؟!! ها هي قصته - إن لم تكن تذكرها - أخرجها البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال:

«بَينَمَا ثَلاثَةُ نفَرٍ يَتمَشَّون أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فَأَووا إلى غَارٍ[٢] في جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِم صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَانطَبَقَتْ عَلَيْهِم، فَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعمالاً عَمِلْتُمُوها صَالِحَةً للَّه، فَادعُوا اللَّه تَعَالى بِها، لَعَلَّ اللَّه يُفَرِّجُها عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُم: اللَّهُمَّ، إنَّهُ كَانَ لي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامرأَتي، وَلي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عليهم، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيهِمْ[٣] حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهما قبل بَنِيَّ، وأَنَّه نَأَى بي ذَاتَ يَومٍ الشَّجَرُ[٤]، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهما قَدْ نَاما، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالحِلابِ[٥]، فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَومِهِمَا، وأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَونَ[٦] عِنْدَ

---

(١) البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) «غار»: الغار: الثقب في الجبل.

(٣) «فإذا أرحت عليهم»: أي: إذا رددت الماشية من المرعىٰ إليهم، وإلىٰ موضع مبيتها، وهو مُراحها، يقال: أرحتُ الماشية وروحتها، بمعنىٰ.

(٤) «نأىٰ بي ذات يوم الشجر»: وفي بعض النسخ: «ناء بي»، هما لغتان وقراءتان، ومعناه بعد، والنأي البعد.

(٥) «بالحلاب»: الإناء الذي يحلب فيه، يَسعُ حلبةَ ناقةٍ، ويقال له: المحلب. قال القاضي: وقد يريد بالحلاب هنا اللبن المحلوب.

(٦) «يتضاغون»: أي: يصيحون ويستغيثون من الجوع.

قَدَمي، فَلَم يزَلْ ذَلكَ دأبِي[١] ودأبُهُم حَتَّى طَلَعَ الفجْرُ، فَإِن كُنْتَ تَعلَمُ أَنِّي فَعلْتُ ذَلكَ ابْتغَاءَ وَجْهكَ، فَافرِجْ لنَا مِنهَا فُرْجَةً، نرى مِنهَا السَّمَاءَ، ففرَّجَ اللَّهُ مِنهَا فُرْجَةً، فَرأَوا منْهَا السَّماءَ.

وقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ، إِنَّهُ كَانَتْ لي ابنَةُ عمٍّ أُحبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِليهَا نَفسَهَا، فَأَبَتْ حتَّى آتيهَا بمَائَة دينار، فَتَعبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مَائَة دينَار، فَجئْتُهَا بهَا، فَلَمَّا وَقَعتُ بَيْنَ رِجلَيهَا[٢] قَالَتْ: يا عَبْدَ اللَّه، اتَّقِ اللَّهَ، ولا تَفْتَحِ الخَاتمَ إِلاَّ بحقِّه[٣]، فَقُمتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعلَمُ أَنِّي فَعلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهك، فَافرُجْ لَنَا منْهَا فُرْجَةً. فَفَرَّجَ لَهُمْ.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجيراً بفَرق أَرُزٍّ[٤]، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قالَ: أَعطِني حَقِّي، فَعرَضْتُ عَلَيه فَرْقَهُ فرَغبَ عَنْهُ[٥]، فَلَم أَزَلْ أَزرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ منْهُ بقَراً ورعَاءَهَا، فَجَاءَني فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ ولا تَظْلمْني حَقِّي، قُلتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ ورعَائهَا فَخُذْهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّه، ولا تَسْتَهْزِئْ بي، فَقُلتُ: إِنِّي لا أَستَهزِئُ بكَ، خُذْ ذَلك البَقَرَ ورعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ به، فَإِنْ كُنْتَ تَعلَمُ أَنِّي فَعلْتُ ذَلكَ ابْتغَاءَ وَجْهِك، فَافرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفرَّجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ».

* ألا تتأسَّ بالصِّدِّيق يوسفَ وتقتدي به في رفْضه للفاحشة، وبُعْدِهِ عن الخَنا والزنا، ولُجُوئِهِ إلى اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ كي ينجيه ويصرفَ عنه السوء.

---

(١) «فلم يزل ذلك دأبي»: أي: حالي اللازمة.

(٢) «فلما وقعت بين رجليها»: أي: جلست مجلس الرجل للوقاع.

(٣) «لا تفتح الخاتم إلا بحقه»: «الخاتم» كناية عن بكارتها. وقولها: «بحقه» أي: بنكاح، لا بزنى.

(٤) بفرق: بفتح الراء وإسكانها، لغتان، الفتح أجود وأشهر، وهو: إناء يسع ثلاثة آصع.

(٥) «فرغب عنه»: أي: كرهه وسخطه وتركه.

وقوله: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

* **ها هو رجل آخر صحابي يقال له:** مرثد، كان يحب امرأة يقال لها: عناق، ويزني بها في جاهليته فكفَّه دينه، ومنعه إيمانه بعد أن أسلم من أن يزنا بها وأعرض عنها، وها هي قصته - رضي اللَّه عنه - أخرجها الترمذي[1] بإسناد حسن من طريق: عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: كان رجل يقال له: مرثد ابن أبي مرثد، وكان رجلاً يحمل الأسرىٰ من مكة ويأتي بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بغيٌّ بمكة يقال لها: عناق، وكانت صَديقة له، وأنه كان وعَد رجلاً من أسارىٰ مكة يَحمله، قال: فجئتُ حتىٰ انتهيتُ إلىٰ ظل حائطٍ من حوائط مكة في ليلة مقمرةٍ، قال: فجاءت عناقُ فأبصرتْ سواد ظلي بجنب الحائط، فلما انتهت إليَّ عرفتْ فقالتْ: مرثد، فقلت: مرثد، فقالت: مَرْحَبًا وأهلاً، هَلُم فَبِتْ عندنا الليلة، فقلت: يا عناق، حرَّم اللَّه الزنا، قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يَحمل أسْراكم، قال: فتبعني ثمانية، وسلكت الخندمة، فانتهيتُ إلىٰ غارٍ أو كهفٍ فدخلت، فجاءوا حتىٰ قاموا علىٰ رأسي، وعَمَّاهم اللَّه عني، قال: ثُم رجعوا، ورجعتُ إلىٰ صاحب فحملته وكان رجلاً ثقيلاً حتىٰ انتهيتُ إلىٰ الآخر، ففككت عنه أكبله، فجعلت أحمله ويُعييني، حتىٰ قدمت المدينة، فأتيتُ رسول اللَّهِ صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم فقلت: يا رسول اللَّه، أَنْكحُ عناقًا؟ فأمسك رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وعلي آله وسلم ولم يرد عليَّ شيئًا، حتىٰ نزلت: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣].

---

(١) الترمذي (٤/ ١٥٢).

فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «يَا مَرْثَدُ: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ فلا تنكحها».

ألا فليبادر المؤمن إلى الاستغفار من ذنبه والإقلاع عنه، وليستغفر لإخوانه المؤمنين والمؤمنات الذين سبقوه بالإيمان، وليعلم المؤمن أن هناك ملائكة تستغفر له.

قال اللَّه تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

* * *

* ومن لوازم الاستغفار:

التحلل من المظالم

أما بالنسبة للذنوب والمعاصي والجرائم التي ارتكبها الشخص في حق المؤمنين والمظالم التي ظلمهم بها: فيجب عليه أن يتحلل منهم في ذلك قدر استطاعته ويرد إليهم المظالم التي ظلمهم بها.

* فها هو الشهيد يُغفر له كلُّ ذنب إلا الدين[1]:

وفي «صحيح مسلم»[2] أن النبي ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيامة

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٨٨٦) من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يغفر للشهيد كل ذنب، إلا الدين».

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨١).

بصَلاة وصيَام وزكَاة ويأْتي قَدْ شتَمَ هذَا وقذَفَ هذَا وأَكلَ مَالَ هذَا، وَسفكَ دمَ هذَا وَضَرَبَ هذًا، فيُعْطَى هذَا من حَسنَاته، وهذَا منْ حَسنَاته، فَإنْ فَنيَتْ حَسنَاتُهُ قَبْلَ أن يُقْضَى مَا عليه أُخِذَ من خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّار».

فإذا سرق رجل مالاً من شخص يعرفه فلا يكفي أن يقول: «أستغفر اللَّه» بل عليه أن يرد المال إلىٰ صاحبه.

كذلك إذا أفتىٰ عالمٌ من العلماء الناس فتية فغشهم فيها عن عمد فلا يكفي أن يقول: «استغفر اللَّه» بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا.

يدل على هذا وذاك قوله تعالى:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

* وقول النبي ﷺ عن المؤمنين: «إذا خلصوا مِنَ النَّارِ حُبسُوا عَلَى قَنْطَرِةِ الجَنَّة وَالنَّار فَيَتَقَاصُّون مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ في الدُّنيا»(١).

* وقال النبي ﷺ: «لَتُؤدُّنَّ الحُقُوق إلى أَهْلها يوم القِيامَة، حَتَّى يُقَادَ للشَّاة الجَلْحَاء مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاء»(٢).

* وكذلك من قذف امرأة بالزنا وهي بريئة لا يكفي في توبته قوله: «استغفر اللَّه» فاللَّه ـ عز وجل ـ يقول:

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا خَلَصَ المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتىٰ إذا نُقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤ـ٥].

* * *

المعصية إذا لم يتب منها العبد تَجُرُّ إلى معصية أُخْرى

هذا وليُعلم: أن المعصية تَجُرُّ إلىٰ معصية أُخرىٰ إذا لم يحدث لها توبةً وإنابةً واستغفاراً، وكذلك فالذنب ينمو ويزداد إذا لم يتب منه العبد، والشيطان يستزل العبد بمعاصيه.

قال اللّه سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

فقوله ﴿استزلهم﴾ أي: أوقعهم في الزلة وهي الخطيئة، وقد ذكر بعض العلماء في ذلك أقوالاً، منها: أن القوم (الذين فرُّوا) كانوا قد ارتكبوا أخطاء فيما سلف إما قبل القتال وإما في أثنائه بتركهم مواقعهم ومخالفتهم أمر رسول اللّه ﷺ، فخشوا أنْ يواجهوا العدو وهم علي هذه الحال من الذنوب فدفعهم ذلك إلىٰ الفرار، واللّه تعالىٰ أعلم.

* وإذا نظر العبدُ نظرةً إلىٰ شيء محرَّم ولم يُحدث لهذه النظرة توبةً فسرعان ما ينموا أثرها ويستقر في قلبه استقراراً قد يؤول إلىٰ الفاحشة، عياذاً باللّه.

* * *

تفاوت كفَّارات الذنوب بحسب عظم الذنب

وكلمة أستغفر الله ليست بكافية لمحو أثر الذنب في كل الأحوال، فلكلِّ ذنب كفارةٌ بحسبه تكفي لمحوه وتدميره بإذن اللَّه[1]، فنظرة الرجل إلى امرأة لا تحل له قد يكفي لمحو أثر الذنب المتعلق بها قول الرجل «أستغفر اللَّه»، وقُبلة الرجل للمرأة التي لا تحل له أمَرَ فيها النبي ﷺ بالوضوء وصلاة ركعتين كما أسلفنا، ولو كانت كلمة «أستغفر اللَّه» وحدها كافية لاقتصر عليها رسول اللَّه ﷺ.

* ثم الزنا أشر وأعظم من أن يُكفَّر بضلاة ركعتين، وقد رجم النبي ﷺ في الزنا لما جاءه ماعز وقال له: طهرني يا رسول اللَّه.

وقد جلد النبي ﷺ في الزنا أيضًا من لم يُحصن.

* ومن نسي صلاة من الصلوات لا يكفي أن يقول: «أستغفر اللَّه» بل لابد له من صلاتها، روى البخاري ومسلم عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**من نَسيَ صَلاَةً فليُصَلِّ إذَا ذَكَرَهَا، لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إلاَّ ذَلكَ**»، ﴿**وأَقِمِ الصَّلاَةَ لذِكْرِي**﴾»[2] [طه: ١٤].

هذا فيمن نسيها لا يقبل منه أن يقول فقط «استغفر اللَّه» بل عليه أن يصليها ولابد، فكيف بمن تركها عمداً؟!!

* والبزاق في المسجد خطيئة، وكفَّارتها دفنها، كما صح عن النبي ﷺ فيما

---

(١) هذا من باب الأسباب والمسببات، وإلا فاللَّه سبحانه يغفر الذنوب جميعًا إن شاء، ولو بدون صدور الاستغفار من العبد، لقوله تعالى: ﴿إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٧)، ومسلم (حديث ٦٨٤).

أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس - رضي اللَّه عنه[١]، فلا يكفي لمحو ذنب البزاق في المسجد أن تقول: «أستغفر اللَّه».

* وصح عن رسول اللَّه ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم أنه قال في شأن الحالف باللات والعزى: **«مَنْ حَلَفَ منكُمْ فَقَالَ في حلفه: باللَّات والعزَّى، فَلْيَقُل: لا إله إلاَّ اللَّه، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرُكَ، فَلْيَتَصدَّقْ»**[٢].

* وأخرج مسلم من حديث ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - أنه سمع رسول اللَّه يقول: **«مَنْ ضَرَبَ غُلامًا له حدًا لَمْ يأتِهِ أو لطمه فإنَّ كفَّارَتَهُ أَنْ يعْتِقَهُ»**[٣].

* وصح[٤] عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: **«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأخيه من عرضه أو شيء فَلْيَتَحلَّلْهُ منهُ اليَوْمَ قبل أَنْ لاَ يَكُونَ دينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالحٌ أُخِذَ منهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإِنْ لَمْ تكُن له حَسَنَاتٌ أُخذ من سيئات صاحبه فحُمِل عليه»**.

* وقال النبي ﷺ **«لَتُؤدُّنَّ الحُقُوقَ إِلى أَهْلِهَا يوم القِيامَةِ، حَتَّى يُقَادَ للشَّاةِ الجَلْحاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ»**[٥].

فلزم هنا التحلل من المظالم فضلًا عن الاستغفار.

---

(١) البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١١/ ٩١)، ومسلم مع «النووي» (١١/ ١٠٦) من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا.

(٣) مسلم (ص ١٢٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا.

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

والیمین المنعقدة لیست كفارتها أن یستغفر العبد ربه، بل كفَّارتها كما قال تعالى:

﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾

[المائدة: ٨٩].

* أما الظِّهار: فكفَّارته أعظم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٣-٤].

* والمُجامِع في نهار رمضان أمره النبي ﷺ بعتق رقبة، فلما لم يجد أمره بصيام شهرين متتابعين، فلما لم يجد أمره بإطعام ستين مسكينًا.

* وقتل الخطأ لا يكفي فيه أن يقول العبد: «أستغفر الله»، بل لابد فيه من دية.

* وذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أن من ترك واجبًا من واجبات الحج يهريق دمًا.

وقد قدمنا لذلك نماذج أُخر في ثنايا هذا الكتيب، فلذلك أُذكِّر نفسي، وإخواني مكررًا أنه ينبغي أن لا يُستحقر الذنب، بل على العبد أن يعمل بعد الذنب طاعات توازيه وتزيد عليه حتى يمحق هذا الذنب، وإن كان مما يتعلق بالعباد فعليه أن يتحلل منهم ويدافع عن أعراضهم كما وقع فيها، ويرد حقوقهم كما سلبها منهم. ومع ذلك كله يطلب من الله العفو والمغفرة.

فعلى ذلك:

فهناك ذنوبٌ تحتاج إلى قول: «أستغفر اللّه»، وذنوبٌ تحتاج مع الاستغفار إلى صلاة ركعتين.

وذنوبٌ لا تكفي لإزالتها - إلا إذا شاء اللّه - صلاة ركعتين، بل تحتاج إلى الصلوات الخمس لتكفيرها.

وذنوبٌ لا تكفي الصلوات الخمس لمحو أثرها فتحتاج إلى صلاة الجمعة بما ورد فيها من شروط لتكفير الخطايا.

وذنوب لا تكفي الجمعة لتكفيرها فتحتاج إلى رمضان يكفرها.

وذنوبٌ أُخر العمرة كفيلة بتدميرها ومحو أثرها بإذن اللّه.

وذنوبٌ لا يكفيها إلا الحج.

وذنوبٌ أُخر أمرها موكول إلى اللّه تعالى، ولا يكفي عمل العبد لمحوها، إنما أمرها إلى اللّه - سبحانه وتعالى - إن شاء غفرها وإن شاء عاقب عليها، فليكن العبد معها دائمًا في خوفٍ ورجاء، خوف من العقوبة عليها ورجاء في رحمة اللّه - عز وجل -.

وما توفيقنا إلا باللّه، نسأله سبحانه العفو والمغفرة. واللّه أعلم.

* * *

مسألة

* هل يجوز للشخص أن يطلب من شخصٍ يظن فيه الصلاح أن يستغفر له؟

الظاهر: أن هذا جائز، بل مشروع مستحب، فقد قال عمر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، استغفرْ لي[1].

وقال الله سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ٦٤].

وقال عمر - رضي الله عنه - لأويس: استغفرْ لي، فاستغفرَ له، وها هي قصته[2] كما رواها مسلم من طريق أُسير بن جابر؛ أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر، وفيهم رجلٌ ممن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل ههنا أحدٌ من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجلُ، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: «**إنَّ رَجُلاً يأْتيكُمْ منَ اليَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيسٌ، لاَ يَدَعُ باليَمَنِ غَيرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ به بيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فَأذْهَبَهُ عَنْهُ، إلاَّ مَوضِعَ الدِّينَارِ أَو الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنكُمْ فَلْيَسْتَغْفِر لَكُمْ**».

وفي روايةٍ لمسلم من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُويس، وكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِر لَكُمْ**».

وفي روايةٍ لمسلم من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٦٨)، ومسلم.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٤٢) من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ خَيْرَ التَّابِعين رَجُلٌ يُقَال لَه: أُويسٌ، وكَانَ بِه بَيَاضٌ، فَمُرُوه فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**».

وفي روايةٍ لمسلم أيضًا مِن طريقِ أسيرِ بنِ جابرٍ قال: كان عمر بن الخطاب، إذا أتىٰ عليه أَمْدادُ أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتىٰ أتىٰ علىٰ أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: مِن مرادٍ ثُم من قرنٍ؟ قال: نَعم، قال: فكان بكَ برصٌ فبرأتَ منه إلا موضع درهمٍ؟ قال: نعم، قال: لك والدةٌ؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يأتي عَلَيكُمْ أُوَيسُ بنُ عَامِر مَعَ أَمْدَاد أَهلِ اليَمَنِ**[1] **مِنْ مُرَاد، ثُم مِنْ قَرَنَ، كَانَ به بَرَصٌ فَبَرأَ منْهُ إلا مَوضعَ دِرْهَم، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبرَّه، فَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**» فاستغفرْ لي. فاستغفر له.

فقال عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلىٰ عاملها؟ قال: أكونُ في غَبْرَاء الناس[2] أحبُّ إليَّ.

قال: فلما كان من العام المقبل حج رجلٌ من أشرفهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، قال: تركتهُ رثَّ البيت[3] قليلَ المتاع، قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يأتي عليكُم أُويسُ بن عامرٍ مَعَ أَمداد أَهْلِ اليَمَن من مُراد، ثُمَّ من قَرن، كَانَ به بَرَصٌ فَبَرأَ منْهُ إلاَّ مَوْضِعِ دِرْهَم، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**»، فأتىٰ أويسًا فقال: استغفرْ لي،

---

(١) «أمداد أهل اليمن» هُم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو، واحدهم «مدد».

(٢) «غبراء الناس»: أي: ضعافهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم

(٣) «رث البيت»: هو بمعنىٰ قليل المتاع. «والرثاثة» «والبذاذة» بمعنىٰ واحد وهو: حقارة المتاع وضيق العيش.

قال: أنت أحدثُ عـهداً بسفرٍ صالحٍ فاستغفرْ لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفرَ له، ففطن له النَّاسُ، فانطلق على وجهه، قال أسيرٌ: وكسوته بُرُدةً، فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردةُ؟!

* وقال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم:

﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧].

وفي «صحيح مسلم»[1] أن أم الدرداء قالت لصفوان بن عبد اللَّه: أتريد الحج هذا العام؟ فقلت (أي صفوان): نَعَم، قالت: فادع اللَّه لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول: «دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ بظَهْرِ الغيب مُسْتَجابَةٌ، عِنْدَ رأسه مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَّا دعَا لأَخِيهِ بِخَيرٍ قَالَ المَلَكُ المُوكَّلُ بِهِ: آمينَ ولَكَ بِمِثْلٍ».... الحديث.

* * *

* والاستغفار للمشركين غير جائز:

قال اللَّه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤].

أي: فإن احتجَّ مُحتجٌّ بأن إبراهيم استغفر لأبيه حين قال: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦].

فهذا الاحتجاج مردود على المحتج به، فإن إبراهيم إنما قال مقالته ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي

---

(١) مسلم مع «النووي» (١٧/ ٥٠)

إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ لوعدٍ كان قد وعد به أباه من قبل حيث قال له :

﴿سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم : ٤٧] وأيضًا، فإن الله قال : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾.

[الممتحنة : ٤]

أي : فلا تتأسوا بإبراهيم عليه السلام في مقالته لأبيه المشرك.

* هذا وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال : «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي»[1] .

* * *

ومن أدب الاستغفار[2] : أن يعزم العبد المسألة:

ولا يقولنَّ العبدُ : «اللهم اغفر لي إن شئت»، ولكن ليعزم المسألة، لما صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّه لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ»[3] .

* * *

(١) أخرجه مسلم (حديث ٩٧٦) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا.

(٢) ويرد في هذا الباب أدب الدعاء، وقد أفردتُ له بابًا في رسالتي «من فقه الدعاء»، فالاستغفار - كما قدمنا - نوع دعاء، ودعاء بطلب المغفرة، فلتنظر سائر الآداب هناك.

(٣) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١١/ ١٣٩) ومسلم (١٧/ ٣٨٥٤) مع «النووي».

من موانع المغفرة(١)

ابتداءً، فاللَّه ـ عز وجل ـ يغفر لمن يشاء، ولكن هناك ذنوب إذا مات عليها العبد ولم يتب منها لا تغفر، كالشرك باللَّه، والعياذ باللَّه.

قال اللَّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

* وأيضًا: فهناك موانع تمنع مغفرة الذنوب إلا أن يشاء اللَّه، من هذه الموانع: الخصومات والشحناء التي بين المسلمين، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة(٢) ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

* ومن ذلك أيضًا: أكلُ الحرام، فإذا دعا العبد ربَّه وهو آكلٌ لأموال الناس بالباطل ومَطْعَمُه حرامٌ ومَشْرَبُه حرامٌ ومَلبسُه حرامٌ، فجديرٌ بأن لا يستجاب له، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَ طَيِّبًا، وإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا

---

(١) ومن ذلك عموم موانع إجابة الدعاء.

(٢) مسلم (٢٥٦٥).

رَب، يا رَب، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وغُذِّيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

* وكذلك: للمجاهرة بالذنوب تأثيرٌ في عدم غفرانها، قال النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ المُجَاهِرِينَ»، وقد تقدم.

* * *

بعض فوائد الاستغفار

وللاستغفار فضائل وفوائد:

* فمنها: تكفير السيئات ورفع الدرجات:

قال اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾

[التحريم: ٨].

وتقدم أن اللَّه عز وجل يُنادي في الثلث الأخير من الليل: «مَنْ يَسْتَغْفِرْنِي فَأَغْفِرَ لَهُ...»(١) تقدَّم قوله تعالى في الحديث القدسي أيضًا: «فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»(٢).

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ

(١، ٢) كلاهما صحيح، وقد تقدَّما.

الصَّالِحِ فِي الجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَارَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟! فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»[١].

* **ومن فوائده: أنه سبب لسعة الرزق[٢] والإمداد بالمال والبنين:**

قال نوح عليه السلام لقومه:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾

[نوح: ١٠-١٢].

---

(١) حسن، أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا.

(٢) وهنا نلفت النظر على وجه السرعة لبعض أسباب سعة الرزق لمن أراد هذه السعة:

* فمن ذلك ـ كما أسلفنا ـ: الاستغفار وقد قدمنا أدلته.

* ومن ذلك: الدعاء، كما دعا من كان قبلنا، فهذا نبي الله عيسى عليه السلام قال: ﴿وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾ [المائدة: ١١٤].

وأيضًا: ففي صلاة الاستسقاء دعاءٌ وطلبٌ للسُقيا، وقال سليمان ﷺ: ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ [ص: ٣٥].

* ومن ذلك: التعوذ من الفقر.

* ومن ذلك: الإيمان وتقوى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا. ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم. ولو أنهم أقاموا التوارة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

وقال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ [الأعراف: ٩٦].

ومن ذلك أيضًا: الانفاق في أوجه الخير، ففي الحديث القدسي: «أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك».

أخرجه البخاري (٩/ ٤٩٧) ومسلم (٩٩٣).

وقال تعالى: ﴿وما أنفقتهم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ [سبأ: ٣٩].

* ومن ذلك: شكر نعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ، قال تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم =

. . . .

= لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [إبراهيم: ٧].

* ومن ذلك: صلة الأرحام، قال النبي ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» أخرجه البخاري (٢٠٦٧، ٥٩٨٥، ٥٩٨٦) ومسلم (٢٥٥٧).

* ومن ذلك: المتابعة بين الحج والعمرة، فقد قال النبي ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد» أخرجه النسائي (٥/ ١١٥) من حديث ابن عباس وابن مسعود رضي اللَّه عنهم - مرفوعًا، وإسناده صحيح.

* ومن ذلك: صدق التوكل على اللَّه، لما ورد عن رسول اللَّه ﷺ: «لو أنكم توكلون على اللَّه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا». أخرجه أحمد (١/ ٣٠) والترمذي (مع «التحفة» ٧/ ٨) وعبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (١٠) وهو صحيح.

* ولا يخفى على اللبيب حديث «اسق أرض فلان» الذي أخرجه مسلم (حديث ٢٩٨٤) من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال: «بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان[1]. فتنحى ذلك السحاب[2]، فأفرغ ماءه في حرة[3]، فإذا شرجة[4] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد اللَّه، ما اسمك؟ قال: فلان - للاسم الذي سمع في السحابة -، فقال له: يا عبد اللَّه، لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤها يقول: اسق حديقة فلان - لاسمك -، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا؛ فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأردُّ فيها ثلثه» وفي رواية لمسلم: «واجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل». ولا يفوت العبد الأخذ بالأسباب كما أمره اللَّه بذلك فإن اللَّه قال: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ [الملك: ١٥].

وقال: ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل اللَّه﴾ [المزمل: ٢٠].

فهذه جملة أسباب يلتمسها من أراد الثراء، واللَّه الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

---

(١) «اسق حديقة فلان»: «الحديقة»: القطعة من النخيل، وتطلق على الأرض ذات الشجر.

(٢) «فتنحى ذلك السحاب» معنى «تنحى»: قصد، يقال: «تنحيت الشيء وانتحيته ونحوته» إذا قصدته، ومنه سُمي علم النحو، لأنه قصد كلام العرب.

(٣) «حرة»: الحرة: أرض بها حجارة سود كثيرة.

(٤) «شرجة»: وجمعها: شراج، وهي مسايل الماء في الحرار.

وقال اللَّه سبحانه: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

* ومن فوائده:

أنه سبب لحصول القوة في البدن كذلك.

قال هود ﷺ لقومه:

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

* ومن فوائده: أنه سبب لدفع المصائب ورفع البلايا:

فالمصائب في كثير من الأحيان سببها الذنوب والمعاصي(١) كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

---

(١) وإن كانت هناك ابتلاءات تقع في بعض الأحيان لإظهار الصادق من الكاذب ولإنابة المؤمنين وتمحيصهم ومحق الكافرين، كما قال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾ [محمد: ٣١].
وكما قال سبحانه: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن اللَّه الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٣].
وضبط هذا يكمن في: أن العبد ينظر في نفسه فإن وجدها خفيفة من الذنوب فليعلم أن ما وقع فيه إنما هو ابتلاء من اللَّه، فليوطّن العبد نفسه على الصبر والرضا بأقدار اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، وأيضًا ليكثر من الاستغفار فلعله فعل ذنبًا وهو لا يشعر.
أما إذا رأى العبد نفسه مرتكبًا للمعاصي ومسرفًا على نفسه وحلت به بلية فليعلم أنها بسبب كسبه فليقلع عن الذنب والمعصية فورًا، وليؤد المظالم إلى أهلها ويقبل على التوبة والاستغفار والإنابة والرجوع إلى اللَّه وليكثر من أعمال البر والخير المكفرة للذنوب.

وكما قال تعالىٰ : ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[الأعراف: ١٦٨].

وكما قال تعالىٰ: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

فالمصيبة تنزل في كثير من الأحيان بذنب، فإذا أحدث العبد استغفاراً وتوبة نصوحًا من هذا الذنب ترتفع المصيبة بإذن اللَّه، فاللَّه -سبحانه وتعالىٰ- يقول:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

* ولذلك كان أهل الإيمان إذا واجهوا عدواً تذكَّروا أن الذنوب سبب في تسلط العدو عليهم، فالذي يُسلط هو اللَّه والذي يكف اليد هو اللَّه -سبحانه وتعالىٰ- كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

وكما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الفتح: ٢٤].

فمن ثم كان أهل الإيمان يستغفرون اللَّه من ذنوبهم حتىٰ لا يتسلط عليهم العدو بسببها.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

* **أما كون الاستغفار سببًا لرفع البلايا:** فقد قال اللَّه سبحانه في شأن نبيه يونس عليه السلام:

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

[الصافات: ١٤٣-١٤٤].

ووصف تسبيحه في آية أخرىٰ بأنه:

﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٧].

* * *

ومن فوائد الاستغفار
أنه سبب لبياض القلب وصفائه ونقائه

فالذنوب تترك أثرًا سيئًا وسوادًا على القلب كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُو قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»[١].

* وفي الحديث الذي أخرجه مسلم[٢] من حديث حذيفة قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم سمع رسول اللَّه ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. قال:

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧) والترمذي (٣٣٣٤) من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - بإسناد حسن.

(٢) مسلم (حديث ١٤٤).

لعلكم تَعْنون فتنة الرجل(١) في أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر(٢)؟ قال حذيفة: فأسكت القوم(٣)، فقلت: أنا، قال: أنت، للَّه أبوك(٤)!

قال حذيفة: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ(٥) عَلَى القُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا(٦)**، ....

(١) (فتنة الرجل) قال أهل اللغة: أصل الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان والاختبار، قال القاضي: ثم صارت في عُرف الكلام، لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء، قال أبو زيد: فُتن الرجل يفتن فتونًا إذا وقع في الفتنة وتحول من حال حسنة إلىٰ سيئة، وفتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروبٌ من فرط محبته لهم، وشحه عليهم، وشغله بهم عن كثير من الخير، كما قال تعالىٰ: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾. أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم، وتأديبهم وتعليمهم، فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته. وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا، فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة. ومنها ذنوب يرجىٰ تكفيرها بالحسنات، كما قال تعالىٰ: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾.

(٢) «التي تموج موج البحر» أي: تضطرب ويدفع بعضها بعضًا، وشبهها بموج البحر لشدة عظمها وكثرة شيوعها.

(٣) «فأسكت القوم» قال جمهور أهل اللغة: سكت وأسكت لغتان بمعنىٰ: صمت. وقال الأصمعي: سكت: صمت، وأسكت: أطرق. وإنما سكت القوم لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة، وإنما حفظوا النوع الأول.

(٤) «للَّه أبوك» كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها؛ فإن الإضافة إلىٰ العظيم تشريف، ولهذا يقال: «بيت اللَّه» و«ناقة اللَّه». قال صاحب «التحرير»: فإذا وُجد من الولد ما يحمد، قيل له: «للَّه أبوك» حيث أتىٰ بمثلك.

(٥) «تعرض الفتن» أي: تلصق بعرض القلوب - أي: جانبها - كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به.

(٦) «عودًا عودًا»: قال النووي: هذان الحرفان مما اختلف في ضبط علىٰ ثلاثة أوجه: أظهرها وأشهرها «عُودًا عُودًا»، والثاني: عَودًا عَودًا»، والثالث: «عَـذًا عَوذًا». ولم يذكر صاحب «التحرير» غير الأول. وأما القاضي عياض فذكر هذه الأوجه الثلاثة عن أئمتهم واختار الأول أيضًا.

فَأَيّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا[١]، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ[٢] سَوْدَاءُ، وأَيّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا[٣] نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا[٤] فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مربادًا[٥]، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا[٦]، لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».

قال حُذيفة: وحدثته؛ أن بينك وبينها بابًا[٧] مغلقًا يُوشكُ[٨] أَنْ يُكْسَرَ، قَالَ

---

(١) «فأي قلب أشربها» أي: دخلت فيه دخولاً تامًا وألزمها وحلت منه محل الشراب. ومنه: قولهم: «ثوب مشرب بحمرة». أي خالطته الحمرة مخالطة لا انفكاك لها.

(٢) «نكت فيه نكتة» أي: نقط نقطة، قال ابن دريد وغيره: كل نقطة في شيء بخلاف لونه فهو نكت.

(٣) «أنكرها»: ردها. قاله النووي.

(٤) «مثل الصفا» قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: ليس تشبيه بالصفا بيانًا لبياضه، لكن صفة أخرى، لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه، كالصفا، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.

(٥) «مربادًا» قال الإمام النووي ـ رضي الله تعالى عنه ـ: (كذا هو في أصول روايتنا وأصول بلادنا، وهو منصوب على الحال. وذكر القاضي عياض خلافًا في ضبطه، وإن منهم من ضبطه كما ذكرنا، ومنهم من رواه مربئد، قال القاضي: وهذه رواية أكثر شيوخنا، وأصله أن لا يهمز، ويكون مربد مثل مسود ومحمر، وكذا ذكره أبو عبيد الهروي، وصححه بعض شيوخنا عن أبي مروان بن سراج لأنه من «اربد»، إلا على لغة من قال: «احمأر»، بهمزة بعد ميم، لالتقاء الساكنين، فيقال: اربأد ومربئد. والدال مشددة على القولين، وسيأتي تفسيره.

(٦) «مجخيًا» معناه: مائلاً. كذا قاله الهروي وغيره، وفسره الراوي في الكتاب بقوله: منكوسًا، وهو قريب من معنى المائل، قال القاضي عياض: قال لي ابن سراج: ليس قوله: «كالكوز مجخيًا» تشبيهًا لما تقدم من سواده، بل هو وصف آخر من أوصافه، بأنه قُلب ونُكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة، ومثله بالكوز المجخي، وبينه بقوله: لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

(٧) «إن بينك وبينها»: معناه: أن تلك الفتن لا يخرج شيء منها في حياتك.

(٨) «يوشك» أي: يقرب.

عُمَرُ: أَكَسْرًا[١]، لا أَبَا لَكَ[٢]! فلو أنه فتح لعلَّه كَانَ يُعَادُ، قلت: لا، بل يُكسَر، وحدثته؛ أن ذلك الباب رجل يُقتل أو يموت، حديثًا ليس بالأغاليط[٣].

وَمِنْ ثَمَّ قال النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ في اليَومِ مِائَةَ مَرَّةً»[٤] فالاستغفارُ سببٌ لإزالة ما قد تعلق بالقلب من سواد وما قد ران عليه من ذنوبٍ ومعاصٍ.

* **ومن فوائده: يجلب محبة الرب ـ سبحانه وتعالى ـ للعبد،** وكفى بمحبة اللَّه نِعمةً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

* * *

(١) «أكسرًا» أي: أيكسر كسرًا؟ فإن المكسور لا يمكن إعادته بخلاف المفتوح، ولأن الكسر لا يكون غالبًا إلا عن إكراه وغلبة وخلاف عادة.

(٢) «لا أبا لك» قال صاحب «التحرير»: هذه كملة تذكرها العرب للحث على الشيء. ومعناها: إن الإنسان إذا كان له أب، وحزبه أمرٌ، ووقع في شدة، عاونه أبوه ورفع عنه بعض الكل، فلا يحتاج من الجد والاهتمام إلى ما يحتاج إليه حالة الانفراد وعدم الأب المعاون، فإذا أقبل قيل: «لا أبا لك» فمعناه: جد في هذا الأمر وشمر وتأهب تأهب من ليس له معاون. واللَّه أعلم.

(٣) «ليس بالأغاليط» جمع: «اغلوطة»، وهي التي يغالط بها. فمعناه: حدثته حديثًا صدقًا محققًا، ليس هو من صحف الكتابيين، ولا من اجتهاد ذي الرأي، بل من حديث النبي ﷺ.

والحاصل: أن الحائل بين الفتن والإسلام عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ، وهو الباب، فما دام حيًا لا تدخل الفتن، فإذا مات دخلت الفتن، وكذا كان واللَّه أعلم.

(٤) أخرجه مسلم (مع «النووي» ١٧/ ٢٣).

بعض صيغ الاستغفار وأوقاته ومواطنه

من ذلك ما يلي:

* **سيد الاستغفار:** رواه البخاري من حديث شداد بن أوس ـ رضي الله عنه[(١)] ـ عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الاستغفار أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ»، قال: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

* **ومن صيغ الاستغفار:** ما أخرجه البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أبي موسىٰ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَجِدِّي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وقد ورد[(٣)] عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: كنا نعد لرسول الله في المجلس الواحد: «رَبِّ اغْفِرْ وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ الرَّحِيمُ»، وفي رواية:

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» (١١/ ٩٧).
(٢) أخرجه البخاري (مع «الفتح» (١١/ ١٩٦)، ومسلم (مع «النووي» ١٧/ ٤٠).
(٣) صحيح وقد تقدم.

إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ»، مائةُ مرةٍ.

* وللاستغفار أوقاتٌ ومواطنُ يُستحب فيها، وإن كانت أبواب التوبة مفتوحة في كل وقت وحين، كما قال النبي الأمين عليه أفضل صلاة وأكمل تسليم: «إنَّ لِلْتَوبَةِ بَابًا مَفْتُوحًا لاَ يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها»، لكن ثمَّ أوقات أرجىٰ من أوقات، ومواطن أبلغ في الإجابة وأقرب إليها من مواطن.

* فمن ذلك: وقت السحر:

* قال اللَّه سبحانه: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

* وقال سبحانه: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

* وقال النبي ﷺ: «يَتَنزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيلَةٍ إلى سَمَاءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيقُول: مَنْ يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرنِي فَأَغْفِرُ لَهُ؟»[1].

* ومن ذلك: أثناء الصلاة وعقبها، فمن ذلك: دعاء الاستفتاح بين التكبير وقراءة الفاتحة ففيه[2]: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْني وبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّني مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلِ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ والبَرَدِ».

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٢٨) ومسلم (مع النووي ٦/ ٣٦) من حديث أبي هريرة -رضي اللَّه عنه-.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٢٢٧) ومسلم (٥/ ٩٦) من حديث أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- مرفوعًا.

* **ومن أدعية الاستفتاح التي حوت الاستغفار أيضًا:** ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» من حديث علي - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة.

قال: «**وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوات والأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا من المُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للَّه رَبِّ العَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، واهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ، لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، واصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**».

وفي نفس الحديث: . . ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**.

وفي رواية للحديث عند مسلم: (وإذا سلَّم قال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ**» . . . إلى آخر الحديث، ولم يَقُلْ: بين التشهد والتسليم).

وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»[٢].

---

(١) مسلم (مع النووي ٦/ ٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٢/ ٢٨١) ومسلم (مع «النووي» ٤/ ٢٠١) من حديث عائشة - رضي اللَّه عنها -.

ومن ذلك: أثناء السجود، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «أَقربُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[(١)].

وكان عليه الصلاة والسلام يقول في سجوده: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وأَوَّلَهُ وآخِرَهُ، وعَلانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»[(٢)].

* وبين السجدتين: كان عليه الصلاة والسلام يقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»[(٣)].

وقد تقدَّم قول أبي بكر رضي[(٤)] اللَّه عنه لرسول اللَّه ﷺ علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيراً، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ».

حمله بعض العلماء على أنه يقال بعد الانتهاء من التشهد.

وفي «صحيح مسلم»[(٥)] من حديث ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ ذَا[(٦)] الجَلالِ والإِكْرَامِ».

---

(١) أخرجه مسلم (مع «النووي» ٤/ ٢٠٠) من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (مع «النووي» ٤/ ٢٠١) من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا.

(٣) أخرجه النسائي (٢/ ٢٣٢)، وأحمد (٥/ ٣٩٨)، وابن ماجه (٨٩٧)، من حديث حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٢/ ٣١٧)، ومسلم (مع «النووي» ١٧/ ٢٨) من حديث عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ.

(٥) أخرجه مسلم (مع «النووي») (٥/ ٨٩).

(٦) في بعض الروايات: «تباركت يا ذا الجلال والاكرام».

قال الوليد: فقلت للأوزاعي[1]: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: «أستغفر الله، أستغفر الله».

* فيرىٰ المسلم أن الاستغفار يصاحب المصلي من بعد تكبيرة الإحرام وحتىٰ ينتهي من صلاته، بل وبعد الانتهاء منها.

وكذلك يشرع الاستغفار بعد الانتهاء من الأعمال، فتختم الأعمال بالاستغفار.

* فالمجالس تختم بالاستغفار: فأخرج أبو داود[2] من حديث أبي برزة الأسلمي قال: كان رسول الله ﷺ يقول بآخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، فقال رجل: إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضىٰ يا رسول الله؟ فقال: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ».

وسنده حسن، وقد قال الحافظ في «الفتح»: سنده قوي.

* وكان عليه الصلاة والسلام إذا خرج من الخلاء قال: «غُفْرَانَكَ»[3].

* وتقدم: أن الصلاة تختم بالاستغفار، سواء قبل التسليم أو عقب التسليم، فقبل التسليم: قدمنا حديث أبي بكر، وقد ذهب بعض العلماء إلىٰ أن ذلك بعد التشهد.

أما بعد التسليم قدّمنا حديث ثوبان.

---

(١) الوليد والأوزاعي كلاهما من رجال الإسناد عند مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥/ ١٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١٥٥) من حديث أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ بإسناد حسن.

* **وفي الحج:** قال اللَّه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

* **وكان النبي ﷺ يقول في آخر حياته بعد أن نزلت عليه سورة النصر،** كان يقول في ركوعه سجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»(١).

وكان يقول عند موته: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ»(٢).

* وذكر اللَّه سبحانه قصة نبيه نوح عليه الصلاة والسلام، وفي آخر سورة نوح بعد أن ذكر اللَّه هلاك قوم نوحٍ بالغرق ذكر سبحانه قول نوحٍ عليه السلام:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ

---

(١) في الصحيحين واللفظ للبخاري (٤٦٩٧) من حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه ﴿إذا جاء نصر اللَّه والفتح﴾ [النصر: ١] إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك اللَّهم اغفر لي» (البخاري ٤٩٦٧)، وفي رواية أخرى كان رسول اللَّه يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللَّهم ربنا وبحمدك، اللَّهم اغفر لي، يتأول القرآن». (البخاري ٤٩٦٨) ومسلم (٤/ ٢٠١ مع النووي).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٤٤) من حديث أم المؤمنين عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أنها سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول قبل أن يموت، وهو مسند إلى صدرها، وأصغت إليه وهو يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق».

«والرفيق» المراد بهم كما فسرتها رواية مسلم التي أخرجها عقب هذه الرواية عن عائشة قالت: كنت أسمع أنه لن يموت نبي حتى يُخيرَّ بين الدنيا والآخرة، قالت: فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول: «مع الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا» قالت: فظننته خير حينئذ.

قلت: فالمراد بـ «الرفيق» هم: المنعم عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين، واللَّه أعلم.

الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

* وكذلك يشرع ويستحب بل ويحب الاستغفار عقب الذنب:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

[النساء: ١١٠].

* وقال تعالىٰ:

﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

* وفي «الصحيحين»(١) من حديث ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: أن رجلاً أصاب من امرأةٍ قُبْلَةً، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، قال: فنزلت:

﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

قال فقال الرجل: أليَّ هذه يا رسول اللَّه؟ قال «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي».

* وها هو يونس ﷺ:

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ولما أمر اللَّه المؤمنين والمؤمنات بغض البصر عقب الأمر بقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ

(١) البخاري (حديث ٤٦٨٧)، ومسلم (حديث ٢٧٦٣).

غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

فجديرٌ بكل عبد قد أذنب أن يبادر إلى الاستغفار من ذنبه هذا، خاصة، ومن سائر الذنوب والمعاصي عامة، حتى يلقى ربَّه نظيفًا خفيفًا من الذنوب والمعاصي، يلقاه وقد غلبت حسناتُه سيئاته.

* ويشرع الاستغفار عند الخسوف:

فإن الشمس والقمر آيتان من آيات اللَّه - عز وجل - يخوِّف اللَّه بهما عباده، وقد قال النبي ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُم شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»[(١)].

* ومن الأوقات التي يشرع فيها الاستغفار ويستحب: عند التقلب على الفراش ليلاً[(٢)]:

ففي «صحيح البخاري» من حديث عبادة بن الصامت - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، ثم قال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي - أو: دعا -؛ اسْتُجِيبَ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ».

* وعند القيام من الليل للتهجد:

كذلك يشرع الاستغفار، ففي «الصحيحين»[(٣)] حديث ابن عباس - رضي اللَّه

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٥٤٥) ومسلم (٦/ ٢١٤) من حديث أبي موسى الأشعري - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا.

(٢) البخاري (مع الفتح ٣/ ٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٣/ ٣)، ومسلم (مع «النووي» ٦/ ٥٤).

عنهما - قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَمَنْ فيهن، ولكَ الحَمْدُ، لكَ مُلْكُ السَّمَاوات والأَرْض وَمَنْ فيهن، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض، ولَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلك السَّمَاوَات وَالأَرض، ولَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَق، ووَعْدُكَ الحَقُّ، وَلقَاؤُكَ حَقٌّ، وقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، ومُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبكَ آمَنْت، وَعَلَيكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيكَ أَنَبْتُ، وَبكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْت، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**» أو: «**لاَ إِله غَيْرُكَ**».

* * *

وكذلك: سائر الأوقات التي يستحب فيها الدعاء:

فالاستغفار نوعٌ من أنواع الدعاء، وهو دعاء بطلب المغفرة من اللَّه - سبحانه وتعالى -. هذا، وإن كانت التوبة - كما قدمنا - مفتوحة في كل وقت وحين للتائبين، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).

* * *

(١) أخرجه مسلم (مع «النووي» ١٧/ ٧٦) من حديث أبي موسى - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا، لكن كما هو معلوم فإن اللَّه فضل بعض الأوقات على بعض، وبعض الساعات على بعض، وبعض الأيام على بعض، وبعض الشهور على بعض.

أقوالٌ وأفعالٌ
وأخلاقٌ تعمل عَملَ الاستغفار

وثَمَّ أقوال وأفعال وخصال تقوم مقام الاستغفار في تكفير الذنوب ومحو الخطايا، بل ورفع الدرجات كذلك.

فمن ذلك ما يلي:

* الإيمان بالله والتوحيد وعموم الأعمال الصالحة:

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

* وقال سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠].

* وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر: ٧].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥].

* ومن ذلك: الصلاة والزكاة والصيام والحج:

وها هي بعض الأدلة على ذلك:

* أما الصلاة: فكونها مكفرة للذنوب والمعاصي، فلِمَا ورد في

«الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أَرَأَيْتُم لَوْ أَنَّ نهرًا بِبَاب أَحَدكُم يَغْتَسِلُ فيه كُلَّ يوم خَمْسًا مَا تقُولُ، ذَلكَ يُبقي منْ دَرَنه؟» قالوا: لا يُبقي من درنه شيئًا، قال: «فَذَلكَ مَثَلُ الصلوات الخَمْسِ يَمْحُو اللَّه بِهِنَّ الخَطَايَا».

* وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: «الصَّلاَةُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلَى الجُمعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ»[٢].

ومن ذلك: الوضوء:

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسلمُ أَو المُؤمنُ فغسل وَجْهَهُ خَرجَ منْ وَجْهه كُلُّ خَطيئة نظرَ إِلَيْهَا بعيْنَيه مع المَاء أَوْ مع آخر قطْر المَاء فإذا غسل يديْه خرج منْ يديْه كُلُّ خطيئة كان بطشَتْها يداهُ مع المَاء أَو مع آخر قطْر المَاء، فإذا غسل رجْليْه خَرَجَتْ كُلُّ خطيئةٍ مشتْها رِجلاهُ مع المَاءِ أَوْ مع آخر قَطْرِ المَاء، حَتَّى يَخْرُجَ نقيًا منْ الذنُّوب».

وفيه[٤] من حديث عمرو بن عبسة أن النبي ﷺ قال: «....مَا منكُمْ رجُلٌ يُقرِّبُ وُضُوءَهُ فيتضمْضَمَضُ ويستنْشقُ فينْتَثر إلاَّ خرَّتْ خطَايا وَجْهه وفيه وخياشيمه، ثُمَّ إذا غسل وجْهه كما أَمرهُ اللَّهُ خرَّتْ خطايا وجْهه منْ أَطْراف

---

(١) البخاري (حديث ٥٢٨، ومسلم (حديث ٦٦٧).
(٢) مسلم (حديث ٢٣٣).
(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٤).
(٤) أخرجه مسلم (حديث ٨٣٢).

لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلاّه خرَّت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلاَّ خرَّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلاَّ خرَّت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلَّى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهلٌ وفرَّغ قلبه لله إلاَّ انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه».

وكذلك في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط».

* ومن ذلك كثرة السجود:

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث ثوبان - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدةً إلاَّ رفعك الله بها درجةً وحطَّ عنك بها خطيئةً».

* ومن ذلك: موافقةُ الإمام في تأمينه:

فأخرج البخاري ومسلم[3] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربَّنا لك الحمدُ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

---

(١) مسلم (حديث ٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٤٨٨).

(٣) البخاري (مع «الفتح» ٢/ ٢٨٣) ومسلم (مع «النووي» ٤/ ١٢٨).

* ومن ذلك الذكر بعد الصلاة:

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ في دبر كُلِّ صَلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمدَ اللَّه ثلاثًا وثلاثين، وكَبَّرَ اللَّه ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعٌ وتسعُون، وقالَ تمامَ المائة: لا إله إلاَّ اللَّه وحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خطاياه وإنْ كانت مثلَ زَبَدَ البحرِ».

* وصوم رمضان أيضًا يكفِّر الذنوب:

* ففي «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قامَ لَيْلَةَ القدْرِ إيمانًا واحْتسابًا غُفر لَهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبه، وَمَنْ صامَ رَمَضَانَ إيمانًا واحْتسابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ منْ ذَنْبه».

* وكذلك الصدقة تُكَفِّر:

قال اللَّه تعالى:

﴿خُذْ منْ أموالِهِمْ صدقَةً تُطهِّرُهُمْ وتُزكِّيهِم بها﴾ [التوبة: ١٠٣].

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «...فتْنَةُ الرَّجُلِ في أهْله ومَاله وجَاره تُكفِّرُها الصَّلاةُ والصِّيامُ والصَّدَقةُ...».

---

(١) مسلم (مع «النووي» ٥/ ٩٤).

(٢) البخاري (حديث ١٩٠١).

(٣) البخاري (حديث ١٨٩٥) ومسلم (حديث ١٤٤).

* وصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء:

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي قتادة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: «صِيَامُ يومِ عَرفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّه أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ».

* والحج والعمرة ينفيان الذنوب:

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن النبي ﷺ قال: «العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْس لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الجَنَّةَ».

وفي «الصحيحين»[٣] أيضًا من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَم يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

* وكذلك: الشهادة في سبيل اللَّه:

قال اللَّه تعالى:

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[آل عمران: ١٥٧].

وفي «صحيح مسلم»[٤] من حديث أبي قتادة - رضي اللَّه عنه -: أن رسول اللَّه ﷺ قام فيهم، فذكر أن الجهاد في سبيل اللَّه والإيمان باللَّه أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول اللَّه، أرأيتَ إن قُتلتُ في سبيل اللَّه تُكفَّر عني خطاياي؟

(١) مسلم (حديث ١١٦٢).
(٢) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٣/ ٥٩٧ ص١٧٧٣، ومسلم (حديث ١٣٤٩).
(٣) البخاري (حديث ١٥٢١)، ومسلم (حديث ١٣٥٠).
(٤) مسلم (حديث ١٨٨٥).

فقال له رسول اللَّه ﷺ: «نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سَبيلِ اللَّهِ وأَنْتَ صابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ»، ثم قال رسول اللَّه ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قال: أرأيت إن قُتلتُ في سبيل اللَّه، أتُكَفَّر عني خطاياي؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «نَعَمْ، وأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إلاَّ الدَّيْنَ،فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ قَالَ لِي ذَلِكَ».

* وكذلك الأذكار:

قال اللَّه تعالى:

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾

[الأحزاب: ٣٥].

* فمن ذلك: قول: (سبحان اللَّه وبحمده):

وفي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مائةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطاياهُ وإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ».

* ومن ذلك: التهليل صباحًا ومساءً:

فأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ،لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، في يوم مائةَ مرةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مائةُ حَسَنَةٍ، ومُحِيَتْ عَنْهُ مائةُ سَيِّئَةٍ، وكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٠٦)، ومسلم (مع «النووي» (١٧/ ١٧).

(٢) البخاري (٦/ ٣٣٨)، ومسلم (١٧/ ١٧).

* وشهود مجالس الذكر كذلك:

ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ للَّه ملائكةً يطوفون في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُون أَهْلَ الذِّكْرِ...»، فذكر الحديث وفيه «فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غفرْتُ لَهُمْ».

* وعموم الأعمال الصالحة:

لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

ولقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢].

* وكذلك أنواع الابتلاءات والمصائب: إذا صبر عليها العبد سبب في تكفير الخطايا ومحو الذنوب:

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِم يُصِيبُهُ أَذَى ـ شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ـ إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سيِّئاته كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَهَا».

وفيهما[٣]: من حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إِلاَّ كفر اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا».

---

(١) البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ١٤).
(٢) البخاري (حديث ٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).
(٣) البخاري (حديث ٥٦٤٠)، ومسلم (حديث ٢٥٧٢).

وفيهما[١] : من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : **«مَا يُصيبُ المُسْلمَ من نصَبٍ ولاَ وَصَبٍ ولاَ هَمٍّ ولاَ حزَنٍ ولاَ أذًى ولاَ غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشاكُها إلاَّ كفَّرَ اللَّه بهَا منْ خَطَايَاهُ»**.

وفي «صحيح مسلم»[٢] : أن النبي ﷺ قال لأُمِّ السائب : **«لا تَسُبِّي الحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيْدِ»**.

* وكذلك: الأخلاق الكريمة من عفوٍ وصفحٍ وإحسان إلى الناس كل ذلك يكفر السيئات:

قال اللَّه تعالىٰ :

﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ منكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ٢٢].

وقد نزلت هذه الآية في الصديق أبي بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ لمَّا اقسم باللَّهِ أن لا ينفق علىٰ مسطح بن أُثاثة لخوضه مع الذين خاضوا في الإفك، ولا تِّهامه أم المؤمنين عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ بالفاحشة.

ففي «الصحيحين»[٣] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : فذكرت حديث الإفك، وفيه : أن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : فلمَّا أنزل اللَّه هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ وكان ينفق علىٰ مسطح بن أثاثة

---

(١) البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٧٥٣).
(٢) مسلم (مع «النووي» ١٦/ ١٣٠).
(٣) البخاري (مع الفتح ٦/ ١٩٨) ومسلم (١٧/ ١٠٢).

لقرابته منه: واللَّه لا أُنفقُ على مِسْطحٍ شيئًا أبدًا بَعْدَما قالَه لعائشة، فأنزل اللَّه: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فقال أبو بكر: بلى واللَّهِ، إني لأحب أن يغفر اللَّه لي.

فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه.

قلت: ففي الآية:

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ﴾ [النور: ٢٢]؟!!

فدل ذلك على: أن العفو والصفح يجلبان الغفران.

وكذلك العفو عن القاتل أو الجاني:

كما قال اللَّه تبارك وتعالى:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥].

* وكذلك: التجاوز عن المعسر سبب من أسباب المغفرة:

ففي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِه: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّه أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ».

وفيهما: من حديث حذيفة(٢) رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تَلَقَّتِ الْمَلائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شَيْئًا؟، قَالَ: لا، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ

---

(١) البخاري (حديث ٢٠٧٨) ومسلم (١٥٦٢).

(٢) البخاري (٢٠٧٧) ومسلم (١٥٦٠) واللفظ لمسلم.

ويَتَجَوَّزُوا عن المُوسَرِ،قال: قَالَ اللَّهُ ـ عزَّ وجل ـ تجوَّزُوا عنْهُ».

*** وكذلك: التأدب مع حديث رسول الله ﷺ:**

قال: اللَّه تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

* * *

بعض صيغ الاستغفار من القرآن الكريم

* ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

* ﴿رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

* ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

* ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

* ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. [التحريم: ٨]

* ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

* ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

* ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾. [المؤمنون: ١٠٩]

* ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

* ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

* ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥].

* ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾. [الأعراف: ١٥٥]

* ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

* ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* * *

الخاتمة نسأل الله حسنها

بهذا القَدْر نكتفي، ونسأل اللَّه سبحانه المزيد من فضله، ونسأله سبحانه أن يعلمنا ما لم نكن نعلم وأن يزيدنا علمًا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا وخطايانا ويرفع درجاتنا في عليين.

وصلِّ اللَّهم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه، وسلم.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

الفهرست

الموضوع | الصفحة

تم بحمد اللّٰه